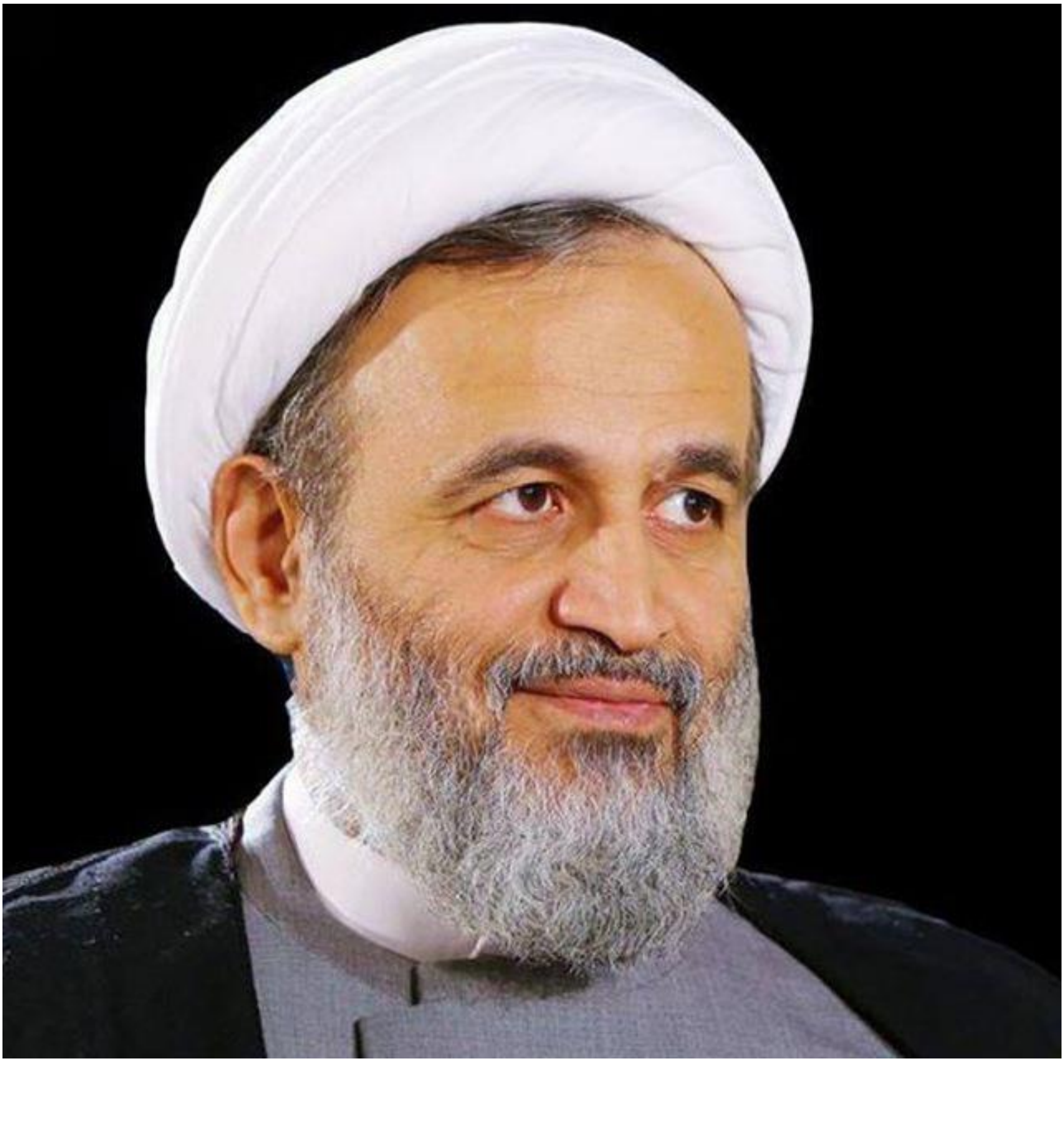
كيف نصدق بأن الله رحيم

-للشيخ علي رضا بناهيان



-حينما يوصوننا بابتداء كل عمل بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» فهذا يعني ضرورة أن نلقّن أنفسنا دوماً بأن الله رحيم. لكن لماذا علينا أن نلقّن أنفسنا برحمة الله دائماً؟

مع أنّ رحمة الله ورأفته محبوبة للإنسان لكنها مسألة دائماً ما تغيب عن ذهنه. بعض الآفات التي تطرأ على قلوبنا وأرواحنا تجعلنا باستمرار في حالة يأس من رحمة الله تعالى، وهذا هو فعل إبليس على وجه الدقة، فأبرز صفات إبليس هي اليأس من رحمة الله، وهو يدأب على نقل صفته الخبيثة هذه إلى الآخرين!

تنبت في صدر الإنسان أدغال شوكية ضارّة تحاول بشكل دائمي إدخال اليأس إلى قلبه، فنحن نُدخل إلى قلوبنا اليأس من رحمة الله بأقل ذنب وأدنى حدَث يحدث حولنا. فإن شاهدنا أناساً يتمتعون بالقوة والثروة ويملكون السلاح وباستطاعتهم ـ وفق الظاهر ـ أن يظلمونا، فسيوحي كلٌّ منّا إلى نفسه: "أنا وحيد، لا ملاذ لي!" وحالة الهلع والقلق الشديد والشعور بالوحدة المفرطة هذه تتولد في نفس الإنسان باستمرار، ولذا يتعين علينا دوماً أن نقول لأنفسنا: "تذكَّر بأنّ الله رحمن رحيم!"

لماذا أوصونا بقول "بسم الله الرحمن الرحيم" عند الشروع بكل عمل وتذكير أنفسنا على نحو موصول بأن "الله رحيم"؟ أحد أسباب ذلك هو أنك تُنتج في باطنك، بشكل متواصل، حالةَ اليأس من رحمة الله وهذا اليأس، ولأسباب شتى، يُعاد إنتاجه في داخلك، ولذا يتحتّم عليك مواجهته.

إحدى حِكَم الذكر هي التذكير، فنحن باستمرار بحاجة إلى تذكير أنفسنا بهذا الموضوع، ونقصد من التذكير "إطالة التفكير في رحمة الله والتأمّل

فيها بعمق". على أن رحمة الله تتجلى في كلمات مختلفة، فهناك مفاهيم كثيرة تتحدّث عن رحمة الله، مثل مغفرة الله، ونعمته، وبركته، وهداه.

في حديث عن رسول الله(ص) يُعدّ ـ تقريباً ـ الحديث الأساسي والوحيد في التعريف بشهر رمضان المبارك، إشارَ(ص) إلى ثلاث صفات عظيمة لهذا الشهر، حيث يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَة» (أمالي الصدوق، ص93)، وكل صفة من هذه الصفات الثلاث تُعدّ مظهراً لرحمة الله تعالى.

ثم يقول(ص): «هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللهِ... نَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَاب.» وهذا كله، في الواقع، وصفٌ لرحمة الله ورأفته. لكن إذا لم تُثِر هذه الصفات في أنفسنا البهجة أو تُحدِث فيها أعلى درجات اللذة، فإننا ـ في الحقيقة ـ لم ندرك رحمة الله، فالمهم هو أن نستمتع برحمة الله.

لماذا لا نذوق حلاوة رحمة الله؟ ينبغي أن نحزن ونوبّخ أنفسنا على أنه: لماذا علاقتنا بالله مقطوعة؟ وهذا التوبيخ تحديداً هو الذي يفتح لنا الأبواب. أتعلمون مَن الذي علاقته بالله مقطوعة؟ هو ذلك الذي لا يذوق حلاوة رحمة الله ورأفتِه بكل كيانه، ولا يتمنّاها بتمام وجوده، ولا يلتذّ بها، ولا يهلك لفقدها.

حاجة الإنسان إلى رحمة الله تفوق هذا المعنى بكثير، فهي ـ في الحقيقة ـ المحيي لأرواحنا ومصدر الطاقة لحياتنا. فهل يا ترى نحس مثل هذه الحاجة إلى رحمة الله ورأفته؟ ماذا نصنع كي يبرز مثل هذا الإحساس في نفوسنا؟ كيف نستجدي رحمة الله ونتوسّل إليه في طلبها؟

من أجل أن تتمكن من تمنّي رحمة الله واستجدائها يتحتّم عليك أن تعتقد بها اعتقاداً راسخاً، لا أن تطرق باب الله وأنت تسيء الظن به فتقول مشكّكاً: "هل سيغفر لي؟ هل سيستجيب دعائي؟ بل هل سيعتبرني آدميّاً؟ وهل سيسمع صوتي؟.." فبهذه الطريقة لا يمكنك أبداً أن تتمنّى رحمة الله وتستجديها!

نحن بحاجة إلى رحمة الله، لكن ما كلّ إنسان يدرك هذه الحاجة. هل تدرك أنت احتياجك إلى رحمة الله؟ لا بد لنا أن نلتذّ برحمة الله، لكن هل نحن نلتذّ بها حقّاً؟ يجب أن نشاهد كل أشكال الرحمة التي أسبغها الله علينا، لكن هل نشاهدها حقّاً؟ يتعيّن علينا أن نشكر الله دوماً على ألوان رحمته، لكننا عاجزون عن المبالغة في شكره، لأننا لا نرى هذه الرحمة ولا ندركها بعمق.

نحن محتاجون إلى رحمة الله أشدّ من احتياج الأطفال إلى حنان أمّهاتهم، وليس لله في عالم الخلقة عمل غير اللطف بعبده والرحمة به، وهو تعالى على استعداد لأن يرحم عبده إلى ما لا نهاية. ومهما أدركتم من رحمة الله فستظلون محتاجين إلى إدراكها أكثر.

كيف نصدّق بأنّ الله رحيم؟ وفي أي الأمور علينا أن نلمس رحمته؟ فلتجعلوا ضالّتَكُم، لفترةٍ ما من الزمن، السؤالَ التالي: "هل أُدرك أن الله رحيم؟ وكم أنا بحاجة إلى هذه الرحمة؟" وأفضل الأوقات لذلك هو شهر رمضان المبارك.

يقول العلامة القاضي(ره): "رأيت في عالم المكاشفة أن رحمة الله الواسعة هي الحسين(ع)". فحبّك للإمام الحسين(ع) يعني أنك تحب

الاتصال بهذه الرحمة، وهذه نشأة من نشآت طعم رحمة الله هذه! فإن كنتَ تلتذّ بذكر مصاب الحسين(ع)، فهذه اللذة هي عينُ رحمة الله.. طعمها هكذا! كل ما في الأمر أنهم أنعموا بهذا الجزء منها علينا لنتذوّقها بسبب كل ما قاساه الحسين(ع) من آلام!

من خصوصيّات الله تعالى، التي إذا آمنّا بها انقلبنا من الأعماق، "رحمتُه" عز وجل. ومن أجل أن نلتفت إلى رحمانية الله ولطفه ونستوعب أكثر أهمّية رحمة الله ودورها في العالم علينا أوّلاً أن نلاحظ حال القوانين التي تسود حياة البشر. الخصوصية الأهم والمبدأ المسيطر على هذا العالم هو النظام والإتقان والدقة التي جعلها الله تعالى في حياة البشر، وهو ذات النظام الذي نلجأ إليه لإثبات وجود الله.

لا بد لهذا العالم أن يكون عالماً منظَّماً كلّ شيء فيه محسوب ومدروس بدقة، فلو كان مضطرباً وغير منظّم لما أمكننا العيش فيه أساساً.
ولتتصوّروا ما كان سيحصل لو لم يكن هذا العالم دقيقاً منظّماً؟ فما الذي كان سيحدث، مثلاً، لو اختلّت الحسابات الرياضية الخاصة بدوران الكرة الأرضية حول الشمس مثقال ذرة؟

وها نحن قد دخلنا في إطار هذا النظام المتقَن وأمامنا فرصة "للخطأ" والتكامل. كل ما هنالك انّنا إذا أخطأنا ضمن عالم منظَّم ودقيق فلا بد أن نواجه ردّة فعل ونتلقّى العقوبة على فعلنا. لكن أنْ يُتاح لنا ارتكاب الخطايا في مثل هذا العالم البالغ التنظيم دون أن نتلقّى العقاب على ما ارتكبنا، فهذا يرجع إلى لطف الله عز وجل بنا؛ أي إنه تعالى يتدارك خطايانا على نحو متواصل.

إحدى مظاهر النظام المسيطر على العالم هو "الزمن" الذي ترون كم هو يسير ويمضي دونما رحمة! لكن باستطاعة الله أن يتدارك ماضيك. فهو سبحانه لا يمحو ذنوبك السالفة فحسب، بل هو قادر على أن يحوّل ماضيك الفاسد إلى ماضٍ صالح! «يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» (الفرقان/70).

فلنجعل من "قسوة العالم" نقطة انطلاقة لنا نحو الالتفات إلى رحمة الله ورأفته! أحد الأمثلة على هذه القسوة هو "قانون ردّ الفعل"، والمثال الثاني هو "قانون القابلية"؛ فقد لا أملك القابلية لبلوغ الكثير من أمنياتي العريضة، غير أن الله يتدخل بلطفه ورحمته فيقول: "سأعطيك هذا من فضلي"، أي: سأتجاهل قواعد العالم وأعطيك الكثير؛ «ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» (المائدة/54).

من نقاط الانطلاق نحو الالتفات إلى رحمة الله هي أن نشاهد النظام المُتقن لهذا العالم ونتعامل معه بجدّية. فحين نشاهد جدّية هذا العالم سنلمس رحمة الله عز وجل. سيصاب الإنسان بالذعر حقّاً إذا شاهد النظام الذي يسود العالم، إذ سيعلم أنّه سيتلقّى ردّة فعل على أيّ خطيئة يقترفها، لكن عليه أن يعلم أنه ثمة دوماً فرصة، هي "لطف الله ورحمته" التي من ميسورها تخطّي قواعد العالم كافّة لتُصلح جميع تصرفاته السيئة، وتأخذ بيده، وتمضي به إلى الإمام.

على الأمّهات أن يلتفتن لدى تربية أولادهن إلى أنّ الطفل ينبغي أن يعرف ـ من ناحية ـ أنه سيتحمّل وِزرَ أيّ خطأ يقترفُه، وأن يعلم ـ من ناحية أخرى ـ بأن هناك في هذا العالم لطفاً ورحمة أيضاً! فإذا تمرّس الإنسان على كلا الأمرين معاً تمرّساً جيّداً فسوف لا يستطيع ـ حقّاً ـ العيش من دون الله إذا كبر!

إذا تصوّر امروٌ أنه يمكن لأي حدث في هذا العالم أن يحدث هكذا عشوائياً فهذا دليل على أنه لم يتخرّج من مدرسة ابتدائية جيّدة ولم يتربَّ تربية حسنة في كنف أسرته! إذ يتعيّن في المدارس أن يمطرونا باستمرار بالنظام المُحكَم لهذا العالم ويزقّونا به زقّاً كي نستوعب ذلك، ثم كل ما أخذَت هيبةُ هذا النظام بألبابنا يخبرونا بأن: "هناك أيضاً رحمة الله، وباستطاعة الله هنا أن يأتي بمعجزة!"

بل إنّ استغفارنا اللهَ تعالى وعفوَه سبحانه عنّا لمعجزة في واقع الأمر، فهي مخالَفة لقوانين الطبيعة! فالسيّئة تعني الآثار السيّئة للذنب والتي يتعيّن، حسب قواعد العالم، أن تحيق بالإنسان! فإن ارتكابي للمعصية هو أشبه بقطع أصابع يدي بسكين، فعن أبي عبد الله الصادق(ع): «إِنَّ الْعَمَلَ السَّيِّئَ أَسْرَعُ فِي صَاحِبِهِ مِنَ السِّكِّينِ فِي اللَّحْمِ» (الكافي/ج2/ص272)، وإنّ استغفاري من هذه المعصية هو أشبه بقولي: "إلهي، لقد ارتكبتُ حماقة، فأعِد إليَّ أصابع يدي!" فحين تسأل الله إصلاحَ أمرك فكأنك تقول له: "إلهي، أنت رحيم".

التفاتُنا إلى القوانين التي تسوس الحياة من شأنه أن يقودنا نحو الله تعالى! فإننا بحاجة إلى لطف الله ورحمته ولو من أجل حياتنا الدنيا القصيرة وأهدافنا الدنيوية هذه حتى وإن كان بمعزل عن موضوع الدين والقيامة، إذ يقول عزّ من قائل: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» (الأعراف/156)، فرحمة الله تسع ـ ابتداءً ـ كل أشياء العالم وجميع الأشخاص، لكنها تُحجَب ـ رويداً رويداً ـ عن الطالحين وتُخصَّص للصالحين.

إنّ مجرّد عدم توجّهنا إلى الله وحثّنا الخطى نحوه ولهَثِنا وراءه بوَلَه سيجعل مخلوقات العالم كلها سلبية معنا حتى لو لم نبلغ في السوء مبلغاً ولم نقترف جُرماً، ذلك أنّ الكُلّ يعشق الله ويتّجه إليه: «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (الحشر/24)، فإنْ أنت تعاطيتَ مع المسألة بلامبالاة

وقفَت منك الأبنية والأسوار وكل ذرات العالم ومخلوقاته موقفاً سلبياً، وحينذاك ستشعر بالوحدة والغربة.

أمّا إذا عكفتَ على ذكر الله تعالى وبذلتَ مساعيك للسير نحوه فسترى جميع ذرّات العالم وأشيائه إيجابية معك؛ فستصبح ثيابك إيجابية معك، وكذا الماء الذي تشرب والطعام الذي تأكل، وستلمس رأفة العالم بك، وعندها سيزول عنك الإحساس بالوحشة والوحدة ولا تستشعر الأسى والغربة.

إنّ العالم لحَيّ، ولطالما تحدّث الله تعالى عن كون هذا العالم حيّاً. ومن بين جميع مخلوقات العالم ـ المنهمكة، جبراً، في تسبيح الله ـ منح الله الإنسانَ اختياراً كي يُعمِل إرادتَه في أن يتّخذ سبيله نحو الله أو لا يتّخذها أو يسبّح الله أو لا يسبّحه. فإذا سألتَ اللهَ مغفرتَه وأحببتَ أن يمحو عنك أثر المعاصي ضمّك إلى صدره وخاطب جميع مخلوقاته: **"**لقد غفرتُ له، فلا تؤذوه بعد الآن**!"**

في هذا العالم المنظَّم والدقيق إلى أبعد الحدود ووسط نظامه المتقَن هذا منحَنا الله عز وجل فُرصاً خاصة لغفران ذنوبنا ودرء سيئاتنا، ومن هذه الفرص شهر رمضان المبارك، فالله يتعامل معنا في هذا الشهر بشكل مختلف، إذ يفتّش عن ذريعة لإثابتنا؛ فحتى نومنا فيه جعله عبادة**!** فمَن كان يحمل ذرّة من الإيمان بالله تعالى، فسيُغفَر له في شهر رمضان المبارك تلقائيّاً.

أحد مظاهر رحمة الله تعالى، بل "المظهر الأسمى لهذه الرحمة"، هم أولياء الله، بكل ما يحملونه تجاهنا من محبة وكل ما قاسوه في سبيل الله

من مِحَن! لكنهم، مع كل ما لهم في أعناقنا من حقوق، لا يطالبوننا إلا بأقل أجر، يقول تعالى: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (الشورى/23).

فما الذي يريده أبو عبد الله الحسين(ع) منا يا ترى إلاّ أن: "تعالوا لزيارتي وسيغفر الله لكم كل ذنوبكم؟! فليس من الضروري أن تُقطَّعوا بالسيوف من أجلي، يكفي أن تبكوني!" وكأنهم(ع) يفتشون عن ذريعة لإنقاذنا، وهذه هي علامة رحمة أهل البيت(ع) بنا.

لماذا ينقص المؤمنين وأصحابَ الدين وأهل الروحانيات ـ وهم ليسوا قلة ـ النضجُ والرقيُّ الكافي سواء على صعيد النفوذ الثقافي في نفوس الآخرين أو على مستوى القدرة الروحية والاجتماعية؟ لماذا يفتقد الإيمان ذلك الأثر اللازم في المؤمنين لكي يرتقوا هُم ارتقاءً كبيراً، من جهة، وينقذوا العالَم، من جهة أخرى؟ ما هو النقص الخاص هنا؟

خلل المؤمنين الرئيسي الذي يؤدّي بهم إلى عدم انتفاعهم من دينهم أفضل انتفاع هو عدم الالتفات الكافي إلى رحمانية الله ورحمته. فأكثر ما يشغل بال المؤمنين هو مشاكل من قبيل: "لماذا أُذنب؟ ولماذا لا أستيقظ عند السحر؟ ولماذا لا أستمتع بتديّني؟" أما القضية الجذرية وهي: "ما سبب قلة التفاتي إلى رحمانية الله تعالى؟" فإنّها لا تشغلهم بشكل مباشر، لجهلهم بأن معظم ما يعانونه من تراجع ومشاكل يعود إلى هذه القضية الأساسية.

يا ليتنا أعَرنا "رحمانية الله" في دروسنا في العقائد اهتماماً أوفر من اهتمامنا "بإثبات الله" أو "إثبات وحدانيّته وصانعيّته"! فرحمة الله موضوع

قد غفلنا عنه، ولولا غفلتنا هذه لكُنّا قد عمرنا أنفسنا، ثم انطلقنا من أجل خلاص العالم أيضاً.

لمَ كل هذا التأكيد على قول «بسم الله الرحمن الرحيم» لدى كل عمل؟ أحد أسباب ذلك هو ضرورة أن نلقّن أنفسنا "برحمة الله" على نحو متواصل، لأننا دائماً ما ننسى هذه الرحمة وعلينا أن نذكّر أنفسنا بها باستمرار.

من أين علينا أن نبدأ لنصدّق بأنّ الله رحيم؟ ناهيك عن "الالتفات إلى النظام المُتقَن للعالم" (الذي أشير إليه في المحاضرة السابقة) فإن نقطة الانطلاق الأخرى نحو التصديق بأن الله رحيم هي "التفكير".

للبدء بالتصديق بأن الله رحيم نحن لسنا بحاجة إلى الاستدلال كثيراً، بل إلى التفكير. فنحن لا نريد إثبات أنّ الله رحيم، إذ أن جميعنا يؤمن بذلك، بل نحن بحاجة إلى التصديق بهذه الرحمة، والاستمتاع بها.

فكّروا: لماذا خلق الله العالَم؟ ولِمَ خلقَنا نحن البشر؟ يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «عَبْدِي، خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ لأَجْلِكَ، وَخَلَقْتُكَ لأَجْلِي» (مشارق أنوار اليقين/ص283) أي خلقت العالم كله لأجلك أيها الإنسان، وخلقتك أنت لأجلي أنا.

فكّر في نفسك أن: "إلهي، لماذا خلقتني؟" هل، يا ترى، خلقَنا الله تعالى لعلّة أخرى غير الرحمة؟! هل خلق الله العالم، مثلاً، ليقول لنا: "أردتُ أن تروا كم أنا منظّم!" هذا لا معنى له على الإطلاق!

هل خلقَنا الله ليستعرض أمامنا عدالته؟! لندرك أنه: "أيّ إلهٍ عادل هذا! لقد وضع كل شيء في محله!" لكن أين الجمال واللطف في هذا؟! بالطبع نحن على يقين بأن الله عادل وأنه لا يظلمنا، غير أن ربوبيّته سوف لا تكون مُمتعة لعباده إلا إذا مارس لطفَه ورحمتَه مضافاً إلى عدله، آنذاك فقط ستكون لحظة بدء مزاولته لربوبيّته.

تأمّلوا بعمق أنْ: ما السبب وراء خَلقِ الله لنا؟ لا يمكن أن يكون لديه سبب سوى أنه "يريد أن يرحَمنا"، إذ لولا هذا لكان الله قاسياً إذ خلقَنا، ومن المحال أن يتّصف الله بالقسوة. فلندرك هذه الحقيقة بالتأمّل، ولنلمسها بكل كياننا.

يقول تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ» (هود/118-119)، أي لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة لا يختلفون فيما بينهم لكنه خلقهم مختلفين (أي إن لهذا الاختلاف حكمة)، ألا وإن الناس يصابون جراء هذا الاختلاف بأذى، إلا الذين رحمهم الله، وما قد خلقَهم إلا من أجل أن يرحمهم (وإلا لم يكن ثمة سبب لخلق الناس والكائنات!)

لقد خلقَنا الله ليمنحنا شيئاً، وهو "الرحمة" ولا غير. فمنح الإنسان "الوعي" مثلاً لا يمكن أن يكون سبباً مقنعاً للخلق، إذ ستقول له: "إلهي، أخَلَقتَني لأزداد وعياً باستمرار؟! طيّب، ما الذي سأحصل عليه في النهاية إذا اكتسبتُ الوعي؟!"

سوف لا يُقرّ الإنسان بأنّه: "كم هو جميل أن خلقَني الله" إلا إذا صدّق بأن الله إنّما خلَقَه ليرحمه. وإلا فلو قلتَ لأحدهم: "لقد خلقك الله لتنال الكمال**!**" لردّ معترضاً: "ليته لم يخلقني أصلاً، كي لا أُجبر على نيل الكمال**!**" أما إذا ذكرتَ له "الرحمة" فسيقول: "حسناً فعَلَ إذ خلَقَني**!** والآن ما السبيل إلى زيادة هذه الرحمة؟"

حاول أهل البيت(ع) بعناوين شتى تذكير أصحابهم برحمة الله ورأفته. ففي بعض الغزوات في يوم صائف شديد الحر رأى المسلمون امرأةً أخذت ابنها وألصقته إلى بطنها، ثمّ ألقَت ظهرها على البطحاء وأجلَسَته على بطنها تقيه الحرّ. فقال رسول الله(ص): «أَعَجِبتُم مِن رَحمَةِ هَذِهِ بِابنِها؟ إِنَّ اللهَ أَرحَمُ بِكُم جَمِيعاً مِن هَذِهِ بِابنِهَا» (رياض السالكين، ج2، ص172).

لا بد أنكم سمعتم كم أنّ ذِكْر الله حسَن**!** وأنّ أصل ذكر الله هو ذكر رحمته. يقول أرباب المعرفة: "صفة رحمانية الله هي صفة رئيسية قياساً إلى الكثير من صفاته عزّ وجلّ؛ أي إنّ "رازقيّته" وصفاته الأخرى ترجع إلى رحمانيّته.

لماذا لا نذوق رحمة الله؟ لأن الله ليس عظيماً مهيباً في أنفسنا**!**

رؤيتنا لعظمة الله تعالى تجعلنا نرى ونذوق ألوان رحمته.

أفضل طريقة لإدراك عظمة الله هي الخضوع أمام هذه العظمة.

□قرِّر، لفترة، أن تمتثل أوامر الله بحذافيرها كي تستحوذ هيبة أوامره على نفسك.

#علي_رضا_بناهيان

□إننا، ولأسباب شتّى، بحاجة إلى رحمة الله، وإلى أن يكون ثمة "إلهٌ رحيم" سنداً لنا، سواء من الناحية المادية، أو من الناحية الروحية والمعنوية. فإذا استيقظَت هذه الحاجة في أنفسنا ونُمّيَت فسنحس بلذّة لا يحسّ بها أيّ إنسان من أيّة علاقة قط! فإن قامت مثل هذه العلاقة العاطفية مع ذلك المولى المتّصف بالرحمة فستُلبَّى للإنسان أهم حاجة من حوائجه.

□بل لو لم يكن لأحدٍ ربٌّ رحيم، لساءَ خُلُقُه، وتدهورَت أحواله، ولما استطاع أن يحسّن حالَه بسهولة. فإدراك رحمة الله يحسّن حال الإنسان حقّاً؛ إذ سيتحسّن خلُقُه، ويلتذّ بحياته، بل سيصيب الآخرون من وجوده متعة أكبر.

□أشرنا في المحاضرات السابقة إلى نقطتي انطلاق نحو الالتفات إلى رحمة الله، وسنشير هنا إلى نقطة ثالثة ترتبط بتركيبة كيان الإنسان، وتركيبة العالم:

□لكي تتفاعلوا مع رحمة الله عزّ وجلّ وتستشعروا مذاقَها وتذوقوا لذّتها وتؤثّر فيكم فلا بد أن تروا عظمتَه تعالى، وتدركوا عزّته وهيبته، ولا

تحقّروه بينكم؛ فالرب إذا تحقّر وصغُر لم تعد رحمته ومحبّته ذات جدوى وإن زاولها.

لماذا نحن لا نرى رحمة الله ولا نذوقها؟ لأن إلهنا ليس عظيماً! مشكلتنا هي أننا لا نؤمن بأنّ الله عظيم. فرؤيتنا وإدراكنا لعظمة الله تعالى تجعلنا نرى ونذوق ألوان الرحمة التي يتّصف بها الله الآن تحديداً، وبالفعل.

لكن ماذا نصنع كي يصبح الله كبيراً عظيماً في أعيننا؟ في أيّ شيء نرى هذه العظمة؟ إحدى الطرق لذلك هي أن نرى عظمة الله في خلق الطبيعة، كأن نرمي بطرفنا إلى قمّة "دماوند" مثلاً ونقول: "إلهي، كم أنت كبير وعظيم إذ شيّدتَ مثل هذه القمم العالية!" هذه إحدى الطرق.

لكن الطريق الفضلى لإدراك عظمة الباري تعالى هي أن تخضع أمام هذه العظمة، وحينذاك ستؤمن بها رويداً رويداً. قرِّر لمدّة من الزمن أن تمتثل أوامر الله بحذافيرها؛ كأن تصلّي بأدب، وتلتزم بآداب الصلاة بدقة (من التقيّد بوقتها، والوقوف لها بتأدّب، وغير ذلك من الآداب)، وتقيم لله حرمة واحتراماً، فالإله غير المحترَم لا جدوى من رحمته وإن زاولها؛ أي سوف لا تذوق حلاوة رحمته.

لماذا كان أئمة الهدى(ع) يستاؤون إذا رأوا شخصاً يعبث بلحيته وهو يصلي؟ لأنهم يشاهدون كيف أنه يبيد أثر الصلاة في نفسه!

فليكن ربّك عظيماً في عينك كي تذوق حلاوة رحمته. فالأطفال أيضاً يرون والديهم كبيرين وعظيمين بكل معنى الكلمة ولذا تراهم ذائبين في حبّهما ملتذّين برحمتهما لهم.

فلتأخذ عظمةُ الله بلبّك! اقرأ القرآن وانظر كم أنّ الله في القرآن جبّار، فهو لا يعير أحداً اهتمامه بسهولة! وكم أنه يتكلم فيه بتكبّر (بالطبع لا إشكال في التكبّر بالنسبة لله). فحين تقرأ القرآن تعرف أنّ الله كبيرُك، وكبير العالم!

يخلو أسلوب الآيات القرآنية في معظمه من الحب والعاطفة، بل يحاول غالباً إقناعك بكون الله عظيماً وعزيزاً. يقول على سبيل المثال: «لَوْ أَنْزَلْنَا هذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ» (الحشر/21). لكن لماذا يفعل الله هذا؟ لكي يعمل القرآن على تفتيت حجارة قلبك وجعله ليّناً.

رحمة الله أيضاً تجلّت في آيات الذكر الحكيم. ولا حاجة لأن يقول الله في كتابه بين الحين والآخر: "أنا رحيم!" فمجرّد قبوله التحدّث إلى عبيده مباشرةً هي ذروة الرحمة منه!

وصِف الله تعالى في القرآن الكريم بـ«العزيز الرحيم» حوالي عشر مرات، أي تمّ تقديم كون الله عزيزاً على كونه رحيماً. الحق إن إداركنا لكون الله عزيزاً يقودنا إلى إدراكٍ أعمق لكونه رحيماً، فالإله العديم الهيبة لا طعم لمحبته.

حتى ضمن الأسرة ينبغي أن تقف "أبّهةُ" الرجل إلى جانب "محبوبيّته". فالزوج العديم الأبّهة (هذا إذا لم تكن أبّهته بالظلم والجبروت) لا تعود في

محبّته جدوى لزوجته، والأب الذي لا هيبة له في البيت فإنّه مهما حَنا على بناته وأولاده يبقى حنوّه باهتاً لا طائل تحته، وسيظلّ أولاده يشكون الحرمان العاطفي.

إنْ أنت أقمتَ، حقّاً، لهيبة الله وزناً ما الذي سيحصل؟ سيضمّك الله إليه. وعندها إذا أظهر هذا الإله، المهيب، لك المودّة ولو قليلاً، كأنْ يقول لك: "عبدي الصغير، تعال يا حبيبي.."، ستسقط مغشيّاً عليك من فرط النشوة والهياج.

يقول أمير المؤمنين(ع): «إِلَهِي كَفَى لِي عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، وَكَفَى بِي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبّاً» (الخصال/ج2/ص420). إنها علاقة قد تكون، بالنسبة لنا، غير مُكتشَفة أو أننا لم نعشها إلا قليلاً. هي أشبه بعلاقة الطفل بأمه وأبيه، فهو يرى عزّته ولذّته في كونه في أحضانهما.

من أجل إقامة علاقة كهذه مع الله تعالى ينبغي إدراك رحمته، لأن هذه الرحمة تمنحك حياة جديدة. فدع الله ـ وهو الكبير حقّاً ـ يتكبّر عليك، بل إنّ أمرَه لك ونهيَه إيّاك هو لهذا السبب تحديداً. فذَره يأمر وينهى ويقول: "هذا حرام.. إن لديّ ناراً وعذاباً أليماً..". فإذا ارتبَطتَ بهذه العلاقة الجميلة فسترى أنه كلما زاد اعتداد الله بنفسه لمستَ أنت رحمتَه أكثر.

فمن أجل إدراك رحمة الباري تعالى، عليك أن تستوعب عظمته، وحينها ستشعر برحمته أكثر دونما حاجة إلى عمليات إضافية! وإن شئت إدراك عظمتِه جلّ وعلا فأطِع أوامره، وأدرك هيبتَه عن طريق عبادته والتأدّب في حضرته.

بين موضوعنا وهو رحمة الله وموضوع "الخوف والرجاء" فارق كبير. بالطبع موضوع رحمة الله قريب من موضوع رجاء هذه الرحمة، لكن لا يجوز القول: "بما أنّ ما يقابل الاشتياق إلى الله هو الخوف منه عزّ وجلّ، فإن ما يقابل رحمته هي قسوته!" فالله ليس بقاسٍ!

من غير الجائز أن نقول: "الله نصف رحيم ونصف قاسٍ!" فإنّ لنا إلهاً هو رحيم فحسب، وليس بقاسٍ أبداً! الله رحيم مطلقاً، وأبداً، بل هو رحيم حتى إذا عذّب!

لا يقع عذابُ جهنّم في مقابل مفهوم رحمة الله، بل ينبغي مخاطبة أهل النار أن: "ماذا صنعتَ كي يشاء الله الرحيم عذابَك؟ من أنت أساساً؟!"

علينا أن نكوّن تصوّراً ابتدائياً عن الله تعالى هو أنّ "الله رحيم" ولا نضعَنّ صفاته الأخرى إلى جوار هذا تصوّرنا عن رحمته كي نقوّمه! فلا ينبغي أن نتحدّث عن عدل الله تعالى أو تعذيبه المجرمين في جهنّم إلى جانب رحمته عزّ وجلّ، لأن الله رحيمٌ في ذات الوقت الذي هو عادل. الله الرحيم نفسُه هو العادل والمنظِّم والحازم.

بل إنّ صفات الله الأخرى جميعاً ناشئة عن رحمته ورأفته؛ فإذا كان الله عادلاً، مثلاً، فإنّه لا ينفك عدلُه عن رحمته. فالظلم مغاير للرحمة، ولهذا فإنّ الله ليس بظالم أبداً، أما العدل فلا يغاير الرحمة.

مع أنّه من المتعذّر زيادة "الإيمان" بهذه البساطة عبر الحوار، أمّا "إيماننا برحمة الله" فيمكن زيادته عبر الحوار، والدليل فطرتُنا! فنحن

محتاجون ومنجذبون إلى رحمة الله بالفطرة. ثمة وهجُ حُبّ في دواخلنا غطّاه الطَمْيُ، ونحن بهذا التذكير نقوم بإزالة هذا الطَمْي عن أفئدتنا.

هذا "مجلس ذكر"، أي إننا نودّ أن نذكّر، ونرجع إلى أنفسنا لنرى "هل نحن أيضاً طالبون لرحمة الله هذه؟" فهي منقوشة في فطرتنا، وإن أزلنا الطَمْيَ عنها قليلاً فسنرى أنّنا نطلبها أيضاً، وسنكتشف حينها كم نحن بحاجة إلى رحمة الله؟ بل نحن وَلِهون بهذه الرحمة ذائبون فيها من فرط حاجتنا لها، بل ونعتقد بها، ولا نتخلّى عنها.

ففي دواخلنا حاجة شديدة قد حُجبَت وغطّاها الطُمْي، وهي الحاجة إلى "شخصٍ رحيم" فوقنا وأمامنا وخلفنا! إلى درجة أننا نخاطبه: "فلتبقَ إلى جانبي بكل رحمتك هذه، وإلا سأُعدَم الهواء الذي أتنفّس!" علينا إيقاظ هذه الحاجة في أنفسنا، وعندها فقط سيكون في مقدورنا الحديث عن الاتصال بالله. عندها فقط سيكون للعبادة، ولمناجاة الله معنىً وطعم.

مثلما يشكّل الأب والأم دعامةً سنداً عاطفيّاً للولَد، حتّى وإن كبُر ولم يعد بحاجة إليهما، فإنّ كلّ امرئ بحاجة إلى سنَد أكبر من الأب والأم وأشدّ منهما عاطفة يُدعى "إلهٌ رحيم". أيّها الإنسان، الرحمة التي أنت بحاجة إليها لتكون ظهيراً لك هي رحمة لا نفاد لها بِسِعة امتداد الله الذي لا نهاية له! أنت بحاجة إلى كلّ هذه الرحمة، والذي لا يشعر بهذه الحاجة يعني أنّ قلبَه قد تحوّل إلى حجارة.

ما الذي يجعل كلمة "الأم" موَقَّرة؟ لأنها تُظهِر رحمتَها وحُنُوّها قليلاً! لكن هل نحن بحاجة إلى هذا المقدار من الرحمة وحسب؟! كلا، فنحن محتاجون إلى سندٍ ذي رحمة لا نفاد لها. فأحد أوجه "قسوة القلب" هي أن

لا أشعر بالحاجة إلى هذا الحجم من الرحمة، وأعيش حياتي هكذا! فقلب كهذا قلبٌ ميّت، إنه لم يعُد حيّاً!

عدم انتفاعك من رحمة الله، أو اطمئنانك لها، أو تمنّيك إيّاها جهنّمٌ صنعتها لنفسك! فأنت بأمسّ الحاجة إلى رحمة ربك. ما الذي فعلتَه بنفسك فلم تعُد تحسّ هذه الحاجة الماسّة؟!

ما إن يكبر المرء قليلاً، فيزداد طولاً وتنبت لحيته وشاربه، حتى ينحّي إحساسَه بالحاجة إلى المحبة والرأفة جانباً! في حين أنه بأمسّ الحاجة إلى ذلك، بل إنّه سيشقى إذا لم يجد "رحيماً" يسانده. أين دفنتَ حاجتَك هذه يا رجل؟!

ينطوي الإنسان على إحساسٍ فطري بالحاجة إلى رحمة لا نهاية لها تقف ظهيراً له، رحمةٍ هي بِسِعة امتداد الله الذي لا نهاية له! هكذا هو "الإنسان"، لكن ماذا دهانا إذ لا نحسّ هذه الحاجة؟ لأنّنا نعاني من بعض القسوة في قلوبنا، وروحانيّتنا هابطة، والروحانية هي أن نوقظ في أنفسنا هذه الحاجة.

لا تقصُروا الإيمان بالله على الإيمان بكونه خالقاً! أيّ دين هذا؟! أيّ عقائد هذه؟! أي إيمان هذا؟! يُثبتون لنا في كتب العقائد أنّ الله خالق! حسنٌ، وماذا أصنع بهذا الخالق؟! اثبت لي أنّه نفس ذلك الرب الرحيم الذي أنا بحاجّة ماسة إلى رحمته.

الشعور بأنّ لنا "إلهٌ رحيم" مهمّ جدّاً. المراد من أنّنا لسنا عرفاء وأنّ إيماننا ليس بالمستوى المطلوب هو أننا لا نشعر بأن هناك إلهاً رحيماً يساندنا ويرعانا وهو محيط بنا. نحن، في الغالب، مصابون بجرثومة اليأس! وهذا اليأس وانعدام الإحساس بوجود سند عاطفيّ عظيم اسمه "رحمة الله" من شأنه أن يفسد أخلاق الإنسان ويزيل عقله.

أتعلمون إلى أيّ مجرم سيتحوّل الشخص الخائب الأمل اليائس من أن يحبّه إنسان؟! سوف لا تبقى في كيانه ولا ذرّة من رحمة أو عاطفة! أما الإنسان الذي يعلم بأنّ هناك إله في منتهى الرحمة يحيطه برعايته، فإنه سيكون رؤوفاً بالجميع، ويتعامل مع الناس دونما تكبّر، وهو قوله تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً..» (الفرقان/63).

#علي_رضا_بناهيان

أيّها الآباء والأمهات، أحبّوا أولادكم حبّاً جَمّاً! تعلمون أنه إذا كان وراء الطفل قلبٌ ناضح بالمحبة فكم سيعمل على سموّه وتكامله! إذ سيشكّل مقدّمة تعينُه فيما بعد على الارتباط بالله تعالى.

من الضروري أن نصل إلى تصوّرٍ عن الله بأنه "رحيم". هذا التصوّر هو حاجتنا. بل افترض، بدايةً، أنّ الله ليس رحيماً، وفتّش عن حاجتك هذه! اعمل عموماً ـ بعيداً عن الخطيئة والثواب، والنار والجنة، والمصالح الدنيوية ـ على اكتشاف حاجتك إلى سندٍ ينضح بالرحمة، وينبض فؤاده من أجلك، ثم أيقِظ هذه الحاجة في نفسك. بالطبع هي عملية شاقّة بعض الشيء. عليك أن تبحث في داخلك قليلاً وتبذل جهداً.

الروحانية هي أن نوقظ في أنفسنا الحاجة إلى رحمة الله. هي قولُك: "أنا بحاجة إلى ذلك السند الطافح بالمودة". التقرّب إلى الله هو أن يستيقظ في داخلك الشعور بالحاجة إلى رحمة الله. والروحانية الأسمى هي أن ترى رحمة الله وتلمسَها! وهذا اللمس لا يزاحم حياتك أبداً، فعش حياتك، وتمتّع بها، لكن اعرف أنه ثمة إله رحيم فوقك.

إنّ من الإهانة لله حقّاً أن لا نراه رحيماً! ففي الخبر أنّك إذا وصفت رجلاً بأنه سيّئ وأن الله لا يغفر له، فسيغفر الله له على الفور ويحبط كل عملك: «إِنَّ رَجُلاً قَالَ يَوْماً: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي تَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَ الْمُتَأَلِّي بِقَوْلِهِ: لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ» (الأمالي للطوسي/ص58). لماذا تتحدث عن رحمة الله بشكل سلبي؟!

انظر إلى الإله الكامن خلف قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ [ظلموا أنفسهم] لا تَقْنَطُواْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (الزمر/53).

أتدرون ما معنى مجيء "الغفور" قبل "الرحيم"، وهو تركيب تكرر في القرآن الكريم حوالي 80 مرة؟ وكأنّ الله قد جعل معاصينا ذريعة لإرضائنا؛ فهو يُوقِعُنا ـ جرّاء الخطايا التي اقترفناها والأذى الذي أنزلناه بأنفسنا ـ في شَرَكِه كي يُسمِعَنا كلامه الأصلي عن رحمته، فيقول: "أنا غفور، لكن تذكّروا أنني رحيم قبل أن أكون غفوراً! أنا رحيم ولا أُطيق رؤيتكم في هذه الحال!"

يحمل البعض نظرة روحانية سلبية، فهم سلبيّون أمام هذه المدرسة التي تعُدّ تصوّرَ رحمة الله واحداً من أكثر التصوّرات عن الله ضرورةً. "الحسن البصري" من هؤلاء، فهو يصنَّف كأحد أبرز عرفاء العالم الإسلامي، بيد أنّ عرفانه وروحانيته سلبيّان.

قيل للإمام زين العابدين(ع) يوماً: «إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَالَ: لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا؟ [لصعوبة النجاة] فَقَالَ(ع): أَنَا أَقُولُ: لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ مَعَ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ» (إعلام الورى بأعلام الهدى/ص261).

هناك عدة عوامل تزيد من غفلتنا عن رحمة الله، وتجعلنا نشك فيها، بل وتدعونا إلى القنوط وسوء الظنّ بها، وسنعرض هنا أحد هذه العوامل.

نحن معاشر البشر مخلوقات ينبغي أن تكتسب القيمة بنفسها، لا كالملائكة التي لها قيمة ثابتة لا تستطيع النهوض بها. ولأجل أن نكتسب القيمة لا بد أن نعيش ظرفاً نُجبَر فيه على الاختيار، وهو أن نجد أنفسنا أمام مفترق طريقين وعلينا اختيار أحدهما.

ومن أجل أن يكون اختيار الإنسان "ذا قيمة" فمن الطبيعي أن يُخفي اللهُ نفسه بعض الشيء، ويحجبَ الجنّةَ والنارَ كي يكون اختيار الإنسان مستقلاً ويتّخذ قرارَه بمفرده. والعامل الرئيسي الذي يدفع الإنسان دائماً إلى نسيان رحمة الله هو هذه الوحدة في اتّخاذ القرارات على وجه التحديد، وهذه الظروف عينها التي قد خلقها الله له.

لكي يكتسب الإنسان القيمة ينبغي ـ بالضرورة ـ أن يلتزم اللهُ الصمتَ قليلاً، ولا يثيبَه سريعاً على حسناته أو يُظهِر ردة فعل عجولة تجاهها، وهذا ـ على وجه التحديد ـ يُشعِر الإنسان بالوحدة.

حينما نحسّ بالوحدة ونظنّ أننا نعيش في عالم لا يرحم سوف نفكر بمصالحنا بطريقة تجعلنا ندوس على الآخرين بأرجلنا بقسوة كي نحقّق مصالحنا.

ثم إن إبليس يستغل وحدة الإنسان هذه ساعة الاختيار والامتحان، كما قد جاء إلى آدم(ع) في الجنة واستغل وحدتَه، وصمْتَ اللهِ ساعة امتحانه، فوسوس له أنْ: **"**فكّر بنفسك، فكّر في مستقبلك**!"** وقد ترك اللهُ آدمَ ساعة الامتحان وحيداً كي يختار بنفسه، فكان أن تمادى آدمُ ـ جرّاء وسوسة إبليس ـ في التفكير في مستقبله ومصالحه الشخصية ناسياً رحمة ربه.

لماذا ننسى رحمة الله تعالى؟ ولِمَ لا تطمئن قلوبنا لهذه الرحمة؟ أحد أسباب ذلك هو أن الله يذرنا لوحدنا ساعة الامتحان لنختار بأنفسنا باستقلالية، لكننا نظن أنّنا أمسينا بمفردنا وفقدنا الداعم لنا، ولهذا نُفسِد أمورنا**!**

يجعلنا الله تعالى ـ من أجل الامتحان ـ في ظروف توحي إلينا: **"**أنك أمسيت وحيداً**!"** لكنّنا ـ في الواقع ـ لسنا في وحدة، والله لم يذرنا وشأننا، بل هو أبداً معنا، إلا أنّه عزّ وجلّ خلق هذه الظروف كي يخوض الإنسان الامتحان ويكتسب القيمة.

أنْ "لا تشعر على الإطلاق بأنك وحيد" فإنها من أصعب وأسمى درجات الإيمان التي يتعذّر حتى على أنبياء الله أحياناً أن يبلغوها، وهي الإيمان بنصرة الله، فتراهم إذا وقعوا ـ أثناء الحروب أو المكاره ـ في مأزق نادوا من فورهم: «مَتَى نَصْرُ اللهِ» (البقرة/214)؟!

لماذا أخطأ نبيّ الله آدم(ع)؟ لأنه كان قلقاً على مستقبله! ومن الذي يقلق على مستقبله؟ هو من لا يشعر بأنه ثمة رحمة تحوطه دائماً بالدعم والرعاية. فكل من يقلق على غده، ويتعلّق به، ويصبح سجيناً له يسوء خُلُقُه ويقسو قلبُه. ولا أقول لا نفكرنّ في مستقبلنا إطلاقاً، بل لا ينبغي أن نتعلّق بهذا المستقبل من أعماق أرواحنا ونقلق من أجله، فمن الممكن أن نعمل لغَدِنا بهدوء وبما يمليه علينا واجبنا دونما قلق.

لماذا ننسى رحمة الله؟ لماذا لا نصدق بأن الله رحيم، ونسيء الظن برحمته شيئاً فشيئاً؟ ذلك لأنّ الأجواء التي نعيشها نحن معاشر البشر، وبسببٍ من الامتحان، تحملُنا على الإحساس بالوحدة، فلا نرى الله إلى جانبنا، ثم إنّه سبحانه وتعالى لا يستجيب لنا بسرعة، فيذهب بنا هذا الإحساس بالوحدة بعيداً إلى درجة التفكير بأنه ما من أحد يحبّنا أو يحوطنا بالاهتمام والرعاية!

لقد أطال علماء النفس البحث في أنّ "الطفل إذا لم يحس برحمة وحنان نحوه فسيتحول في المستقبل إلى إنسان سيّئ!" فإنّ من الأسباب الهامّة وراء كل ما تعانيه البشرية من مآسٍ هو عدم إحساس الإنسان بأنه ثمة إله رحيم به! ومن مساوئ هذه الظاهرة هبوط مستوى "إبداعه." إذ من أين ينشأ الإبداع؟ إنك إذا لم تخشَ المستقبل فإنك ستعمل بإبداع، وستتعاظم جرأتك على المخاطرة، وستمضي بعجلة أعمالك إلى الأمام.

لمَ علينا تذكير أنفسنا باستمرار بأن الله رحيم؟ لأن ساحة حياتنا هي قاعة امتحان، ولا بد أثناء الامتحان أن نكون لوحدنا بعض الشيء، غير أننا نحسب أنفسنا وحيدين تماماً! وما إن تنتابنا فكرة الوحدة هذه حتى تسوء أخلاقنا ونتحوّل إلى ذئاب!

نحن لسنا لوحدنا، فالله موجود، وهو يحبّنا. فإحساسك بالوحدة هو إحساس كاذب، وهو أشبه بالإحساس الذي انتاب سيدنا آدم(ع) حين قال له إبليس: "فكّر بمستقبل نفسك"، فدلّه على الشجرة المحرّمة. وكذا هو شأننا إذا أحسسنا بالوحدة، فإننا سنفكر في مستقبلنا.

ثقوا بأن الله عز وجل رحيم، وإلا فإن لم تثقوا بذلك فسوف لا تقدرون على مناجاته، أو لا تصيبون اللذة من هذه المناجاة، وستفرّطون ـ من أجل ذلك ـ بأجمل ما يتسنى للإنسان أن يعيشه من لحظات عمره!

#علي_رضا_بناهيان

لا يُفترض أن نكون فَسَقةً فَجَرَة كي نحتاج إلى تذكير أنفسنا برحمة الله! فجميعنا نعيش في ظروف ننسى فيها ـ طبيعةً ـ رحمة الله. الظروف التي نعيشها تجعلنا دائماً نرى أنفسنا وحيدين لا مأوى لنا. وظروف كهذه، بالطبع، هي من لوازم الامتحان، والله تعالى هو الذي أوجدها لكي نتكامل، لكنّ نتيجة هذه الظروف، بطبيعة الحال، هي أن نرى أنفسنا في وحدة، لماذا؟ لأنّ الله مستور عن الأنظار وهو لا يتحدث إلينا بشكل مباشر.

الله تعالى غائب عن الأنظار وهو لا يُبدي ردّة فعل في إثر حسناتنا وسيّئاتنا بشكل مباشر، ذلك أنه يريد امتحاننا (ومفهوم الامتحان هنا هو أنه عز وجل يريد تهيئة الأرضية لنا لكي نُظهر قابلياتنا المُضمَرة)، ولذلك لا ينبغي أن يُظهِر ردّة فعل مباشرة، لا تجاه حسناتنا ولا تجاه سيئاتنا، ولذا سوف لا نراه بجوارنا أو قريباً منّا.

ما الذي يجعلنا لا نلمس رحمة الله، أو لا نصدّق بها إلا متأخّرين؟ لأنّ الله قد خفيَ قليلاً عن الأنظار وهو لا يُظهِر لنا ردود أفعاله مباشرة. فهو إن أظهر لك ردّة فعل فإنك لن تعود أنت! فهو جلّ وعلا يريدك أن تقف على قدميك، وتكون مستقلاً، ولذا لا بد أن ينأى بنفسه عنك بعض الشيء.

لو كان من المقرّر أن يُظهر الله تجاه كل صغيرة وكبيرة من تصرّفاتك ردة فعل مباشرة لعشتَ متأثّراً بردود الأفعال هذه ضماناً لمصالحك، ولأصبح اختيارُك منقاداً لها، وعندها سوف لا تُبرِز ما تنطوي عليه من نفائسِ باطنِك، وستُسلَب إمكانية الخطأ، ولا تعود مُبدعاً. فلقد شاء الله تعالى أن يمنحك الفرصة "لتكوّن نفسك بنفسك"، وتفجّر أنت طاقاتك الكامنة، وتحدد بقرارك كيف تريد أن تعيش؟ وكم تريد أن تنتفع من حياتك؟

لقد خلق الله عز وجل لنا حياة خالدة سنعيش فيها إلى أبد الآبدين، لكنه ترك لنا حرية تحديد المستوى الذي نريد العيش به في تلك الحياة قائلاً: "اختر بنفسك المكان الذي تودّ السكنى فيه من الجنة!" من هنا فإننا ـ في واقع الأمر ـ نختار في هذه الدنيا عالمَنا الآخر، فحياتنا الأصلية هي هناك.

لمّا كان من المفترض في هذه الدنيا أن نختار فلا بد ـ بطبيعة الحال ـ أن نملك حق الاختيار، ومن أجل أن نملك هذا الحق فإن الله لا يبدي ردة فعل

مباشرة تجاه تصرفاتنا، وهذا ما يقودنا إلى الظن بأن "الله غير موجود!" وأنه ـ بالتبع ـ غير رحيم! فلو شاهدناه من خلال ردود أفعاله المتواصلة لَلَمسنا رحمته أيضاً.

لاحظ رحمة الله بك في منحك الفرصة تلو الفرصة! فما إن تفشل في امتحان حتى يقول لك: "حسنٌ، اجمع قواك ثانية، واستعد للامتحان التالي، أريد أن أمهّد لأرضية أخرى من أجل تكاملك!" ثم تُفسِد كل شيء مرة أخرى، ويعود ليقول لك: "لا بأس، سأعطيك فرصة أخرى". ثم تعود ثانية... إلهي، ألا تمَلّ من أفعالي؟!

إن الذي يمنحنا كل هذه الفرص لهو أرحم بنا من الأم ألف مرّة، والله تعالى يفعل هذا على وجه التحديد، غير أننا لا نلمس ردود أفعاله الرؤوفة هذه!

لمّا كان الله عز وجل مستتراً عنا ولا يبدي ـ لسيئاتنا خصوصاً ـ ردة فعل مباشرة فإننا لا ندرك رحمته. صحيح أننا لا نرى الله وأن ردود أفعاله غير مباشرة، لكن باستطاعتنا بعقولنا أن نعوّض عن استتاره وعدم إبدائه لردود أفعال مباشرة.

استناداً إلى القرآن الكريم فلو أراد الله قول شيء لك بعد كل حسنة تأتي بها أتدري ما سيقول لك؟ سيقول: "لقد تلطّفتَ عليَّ، وأحسنتَ إلَيَّ: «هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان» (الرحمن/60)، لقد أحسنتَ إليّ، والآن دوري في الإحسان إليك! لقد أحسنتَ إليّ بمقدارك، وسأُحسن إليك بمقداري، أنت محدود، أما أنا فلا حدود لي، وسأُحسن إليك بلا حدود!"

أتعلمون لماذا نحن لا نصدق برحمة الله؟ لأن هذه الأحداث كلها تحدث في صمت، والله مستتر عنّا!

إلهي، لماذا تلتزم الصمت ولا تبدي تجاه حسناتي ردّة فعلٍ ما؟ يجيب الله تعالى: "لأنني أريدك أن تقف على قدميك، وتكون مستقلاً. أتدري كم ستتكامل إنْ أنا لم أكلّمكَ ولم أُظهِر تجاه حسناتك ردة فعلٍ ما لمدّة، وواصلتَ أنت حسناتك؟ تكاملُك هذا هو المطلوب عندي!"

لماذا لا نصدق بأن الله رحيم؟ لأنه تعالى، ومن أجل صيانة استقلالنا، لا يُظهر ردة فعل مباشرة لا تجاه حسناتنا، ولا تجاه سيئاتنا، بل قد يبدي تجاه الأخيرة ردة فعل إيجابية أحياناً!

ماذا نصنع كي نصدق بأن الله رحيم؟ لا بد أن نتفكّر. نتفكّر في آلاء الله. فمراد أولياء الله من التفكّر في قولهم: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةٍ» (رياض السالكين/ ج3/ ص370) وأنّ التفكّر خير من العبادة: «رَكْعَتَانِ مُقْتَصَدَتَانِ فِي التَّفَكُّرِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ» (مكارم الأخلاق/ ص465) هو التفكّر في آلاء الله ونعمه، والتأمل في أنه: ما الذي جعل الله يفعل كل هذا أساساً؟ في مثل هذا علينا أن نفكّر.

يقول عزّ من قائل: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً» (آل عمران/ 191) ما خلقت هذا باطلاً! أي: لأيّ شيء خلقتها؟ معناه: إلهي، لقد فهمتُ أنّك خلقتَ كل هذا حبّاً بي!

لقد خلق الله سبحانه كل هذا من أجلنا. ارفَع ثقتك بنفسك، لقد خلق الله كل هذا لأجلك من فَرطِ حبّهِ لك، أوَيُمكن أن يمرّ تعالى عليك مرور الكرام؟!
فلقد خلق إنساناً، ثم خلق عالَماً من أجل هذا الإنسان.

من العوامل التي تساعد على عدم تصديق الإنسان بأن الله رحيم أو صعوبة التفاته إلى هذا الموضوع هي "إحساسه بالعزلة في الدنيا" وأننا معاشر البشر مخلوقات وحيدة. والشعور بالوحدة يُفقِد الإنسان اتّزانَه الروحي، ويجعله سيّئ الظن بعالَمه المحيط به، ويدفعه إلى التفكير بجدّية في أنه ما من سند يسانده أو حامٍ يحميه.

الناس جميعاً، بما فيهم أكثرهم شهرةً وأشدهم محبوبيةً، وحيدون. على أن عزلة الإنسان وغربته هذه لا تعني أنه لا "اللهَ" له، بل تعني أنه ليس له إلا الله!

مع أن الغربة فرصة للانشغال بالله تعالى لكنك ترى الناس حيارى في مثل هذه الظروف ولا يتحرّكون صوبَ الله إلا بصعوبة. ولو أدرك الناس أنّهم في عزلة لما فرحوا بتوافه الأمور.

جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي» (مصباح المتهجد/ ج2/ ص593). فمن الجميل جدّاً أن يشكو الإنسان غربتَه لربه ويسأله رحمته ورأفته، فهو بهذا سيأنس برحمة الله شيئاً فشيئاً.

يتعذب معظم الناس بسبب شعورهم هذا بالوحدة، ويتحاملون على الآخرين لأدنى زلل يجدونه منهم، فيسيؤون الظن بالله تعالى، بل ويكفرون

به أيضاً، في حين أنّ عليهم أن يحدّثوا أنفسهم: "إن لم يرحمنا أحد، أوَلَيس الله بموجود!" وهذا لا يتأتّى إلا بالتفكّر والتنبّه.

لقد أُوصِينا بالتراحم والتحابّ ليكون ذلك آيةً لرحمة الله تعالى. فالإسلام ذاته الذي يشبّه المدح بالذبح: «إِيَّاكُمْ وَالمَدْحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ» (كنز العمال/8331) يوصينا أن: «إِذَا أَحْبَبْتَ رَجُلاً فَأَخْبِرْهُ بِذَلِكَ» (الكافي/ ج2/ ص644)، فدَعْهُ يذوق طعم الرحمة كي يسهل عليه التصديق بأن الله رحيم.

دعونا نتراحم فيما بيننا بسخاء ودونما سبب لكي يلتفت الناس إلى رحمة ربهم. فإنْ شئتَ تقريب الناس إلى الله فاعمل على إخراجهم من العزلة التي هم فيها. بل إذا كانوا من ذوي الحقوق علينا فهذا من واجبنا، فقد يكون جلوس الرجل عند زوجته لتسليتها أثوب من الاعتكاف في المسجد: «جُلُوسُ الْمَرْءِ عِنْدَ عِيَالِهِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنِ اعْتِكَافٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا» (مجموعة ورام/ ج2/ ص122).

هذا هو شأن الإنسان المتّزن؛ فإنّه إذا رحمَه الناس تذكّر رحمة الله، لا أنه ينسى رحمة الله بذلك. وهذا حال الطفل، فهو يصدّق بأن الله رحيم لِما يراه من رحمة أبويه به.

لقد أُوصِينا أن نُخرج المُصابَ من عزلته، ونسلّيه لمصابه، فإيناس المرءِ في أحزانه من شأنه ـ حقّاً ـ أن يُخرجه من وحدته.

العزلة مذمومة تارة وممدوحة تارة أخرى. فالعزلة المذمومة هي التي لا تذكّرني برحمة الله تعالى، والعزلة الممدوحة هي التي تصلُني بالله عز وجل. فالوحدة لا تكون حسَنَة إلا إذا حوّلتَها إلى نهج يجعلك تأنس بربّك أيّما أُنس إذا توجّهتَ إليه. ولكي لا تجعلنا الوحدةُ نكفُر بربّنا ينبغي أن نتمرّس عليها، فالعزلة عن طواعية وتخطيط تعمل على تمرين الإنسان على عدم التفريط بربه أثناء خلواته.

ومن أجل أن نتمرّن على الخلوة فقد أوصَونا بصلاة الليل، فالوحدة في صلاة الليل استقرارٌ في أحضان رحمة الله تعالى. فإنّك ستبدأ، بعد عدة ركعات، بدعاء الله ومناجاته. وإنّ ترديد "العفو" 300 مرة، والاستغفار 70 مرة هو استدرارٌ لرحمة الله، وممارسةٌ عملية "للتصديق بأن الله رحيم"، أي إنك تلقّن نفسك "بأن الله لن يذرني وحيداً". ولهذا ترى الإنسان تشتد عزيمتُه ويصلُب عودُه ولا يعود ينظر إلى أنماط العزلة في حياته بسلبية على الإطلاق.

كان المجاهدون في الجبهات يحفرون قبوراً ويصلّون فيها، أي كانوا يقضون وحدتهم مع بارئهم، فيغدون أعظم بهجة وأشدّ بأساً. وكانت معنويات هؤلاء أفضل من أولئك الذين يحيط بهم مئات الأصدقاء.

#علي_رضا_بناهيان

"شعور الإنسان بالعزلة في هذه الدنيا" هو أحد عوامل عدم تصديقه بأن الله رحيم، هذا وقد عمّق العالمُ المتحضّر العزلة التي يعيشها البشر، فماذا نصنع لكي نتخلص من هذه العزلة؟ إحدى الإمكانيات المتاحة لذلك هي

الأجواء العامة كالمساجد والمواكب، لكننا لا نتقن الإفادة من هذه الأجواء على نحو جيد. فمن الفوائد التي رُويت عن الإمام المجتبى(ع) للمسجد هي مصادقة الإخوان. فحيث يلتقي الجميع، ويتقاربون، ويصلّون إلى قبلة واحدة تتوفر فرصة فريدة للتصادق، لكن أغلب الناس لا يلتمس الصديق في مثل هذه البيئات والسبب هو عدم وجود التحضيرات اللازمة لانعقاد مثل هذه الصداقات.

من عوامل عزلة الإنسان في العالم المتحضّر توسّع نطاق العالم الافتراضي وأدوات التواصل كالجوال والانترنيت. ومع أنها عوامل سيّئة وقد أسهمَت في عزلتنا، غير أن لها جانباً جيّداً حيث قد أتاحت لنا إمكانيات لم تكن متاحة فيما مضى.

إنه لعالم عجيب! فكلما ازدادت فُرص المعصية فيه، تعاظمَت فُرص الثواب أيضاً. فلم تُتَح إمكانية خدمة الدين وصاحب الزمان(عج) للجميع بمثل هذا الرخص والتأثير الذي نراه اليوم. ففي بعض الدول يتقاضى عدة آلاف من الأشخاص مُرتّباً ضمن إطار "الجيش الالكتروني" وظيفتهم الإمساك بجوّالاتهم والترويج، دفعة واحدة وبشكل مكثّف، لهاشتاغٍ ما أو موضوع معين مثلاً، ولكل واحد من هؤلاء صدىً يتردّد، وهم يستطيعون في المجموع إنجاز أعمال جبارة، في حين أنهم مجرّد أفراد منظّمة، وليسوا "جماهير" حقيقية!

الأشد تنظيماً بين الجماعات المناوئة للجمهورية الإسلامية هم "مجاهدو خلق"، وهم الإرهابيون الذين كانوا بالأمس يقتلون البشر، لكنهم اليوم يمسكون بجوالاتهم. فإذا قُمتَ بأي نشاط انهالَ عليك آلاف الأشخاص بالتعليقات، فيشجّعون كل من يلائم توجّهاتهم بسخاء حتى يستغرب من كثرة المعجبين! أما أنت، العنصر الولائي، فيحقّرونك ويهينونك. لكن هذه

النشاطات ليست جماهيرية، بل تنظيميّة؛ فلو استطعنا إطلاق نشاط جماهيري في هذا المجال، فما الأثر الذي سيتركه يا ترى؟!

كم هم مريدو صاحب الزمان(عج) في الوقت الحاضر؟ حقيقةً إنّ عددنا أكثر. كم هم عشاق أبي عبد الله الحسين(ع)؟ إن في مقدور 20 مليون زائر في الأربعين، وعبر العالم الافتراضي، تحويل المواضيع المرتبطة بالإمام الحسين(ع) إلى أسخن مواضيع الساعة!

الناس في العالم المتحضر منطوون على أنفسهم، لكن هذه الظروف السيئة تستبطن في داخلها ظروفاً حسنة: «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» (الشرح/6) فبعض الأعمال أصبحت اليوم أسهل، إذ باستطاعة كل واحد منا أن يكون ـ عبر العالم الافتراضي ـ مؤثّراً في الآخرين بشكل إيجابي.

لا يحمل أيُّ امرئ في أيّما دين أو مذهب ما نحمله نحن من دافع وتعلّق بمُثُلنا العليا، لكن مشكلتنا هي أننا لا صوت لنا، أما الآخرون فهم أعلى صوتاً منّا؛ فإنهم يطلقون الهاشتاغات، ويستطيعون أن يجعلوا موضوعاً ما حديث الساعة، ويطرحون مواضيع مُصطنعة على أنّها "جماهيرية بامتياز!"

لقد توجّهَت اليوم الماكينات الإعلامية العالمية الضخمة نحو القوى الجماهيرية. فالفساد في العالم، مثلاً، ليس مطلباً جماهيريّاً لكن هذه الماكينات تتظاهر بالجماهيرية، أي إنها تُطلق في العالم الافتراضي استعراضاً تظنّ أنت بأنه حقّاً جماهيري! أمّا إذا شعرتم، وأنتم الجماهير الحقيقيّة، بالمسؤولية في هذا العالم الافتراضي، المتوفّر في متناول أيديكم جميعاً، وأنتجَ كل فرد منكم في اليوم بضع منشورات مفيدة وبثَّها،

فسيجرف السيلُ أولئك، فهم غير قادرين بأي حال من الأحوال أن ينظّموا أشخاصاً بمثل عددكم.

يحاول العالم المتحضر عبر وسائل الاتصال الجماهيري وشبكات التواصل الاجتماعي إضعاف الناس وجعلهم في عزلة، لكن في مقدور كلّ فرد من الناس استعراض قوّته عبر هذا العالم الافتراضي! فعدد الذين يحملون الأفكار التي تحملونها أنتم كبير جداً. قرّروا أن تجعلوا شهر رمضان المبارك شهر صاحب الزمان(عج). كم مليون شخص من عشاق صاحب الزمان(عج) يمتلكون جهاز جوال أو وسيلة اتصال جماهيري؟! عددهم ضخم جداً. كل ما هنالك هو أن عليكم أنتم، أيها "الجماهير"، أن تتخذوا القرار. فمؤسسات الدولة غير قادرة على ذلك.

قيل في أصحاب الإمام المهدي(عج) إنهم يشاهدون أوامر مولاهم في راحات أيديهم فينفّذونها. وقد ذكر بعض العلماء أنه قد يكون المراد من ذلك أجهزة وأنظمة التواصل كالجوال! فباستطاعة صاحب الزمان(عج) التواصل مع الناس فرداً فرداً فيقوم الناس، عن هذا الطريق، بالالتحاق به(ع) من تلقاء أنفسهم. وهذا الأمر حاصل الآن حيث تضاعف الاتصال بين الناس بسبب المجاميع العائلية التي انطلقت عبر شبكات التواصل الاجتماعي مؤخّراً. فانظروا كم يمكن الاستفادة من هذه الفضاءات! فنحن لسنا بمخلوقات تتأثّر دون أن تؤثر!

إن للحق ميزة تجعله قادراً، في كل زمان وظرف، أن يبرُز للعيان. فإذا برز الحق فلا يمكن فعل أيّ شيء تجاهه، وهو منتصر أبداً.

من المشاكل المتفشّية بين الناس هي "القياس بالنفس" وهو أن يظن المرءُ الآخرين مثلَه من حيث الأحاسيس، والتعلقات، والأفكار، ..الخ. ولا بد من معالجة هذه المشكلة عند الأطفال لدى تنشئتهم في البيت وأثناء فترة المدرسة.

يقع الناس في أخطاء جمّة لدى قياس الآخرين بأنفسهم، كأن يقيس الرجل زوجتَه بنفسه فيقول: "أنا لست بحاجة إلى الاهتمام بالتفاصيل، ولا بد أن تكون زوجتي هكذا أيضاً!" وعندها سيميل سلوكُه، تلقائياً، إلى البرودة.

يخطئ الرجال أحياناً، وبسبب هذا القياس بالنفس، في حُكمهم على النساء، والعكس صحيح. كما أن الآباء والأمهات قد يقيسون أطفالهم بأنفسهم أحياناً، وقد يحصل العكس أيضاً.

فلنحاول أن نفهم أن البشر مختلفون. فعن الإمام الصادق(ع): «لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْخَلْقَ [وكم هم مختلفون في الخلقة] لَمْ يَلُمْ أَحَدٌ أَحَداً» (الكافي/ ج2/ ص44).

مما يمنع إدراك رحمة الله تعالى والتصديق بها هو القياس بالنفس، وهو قول الإنسان: "لماذا ينبغي أن يكون الله رحيماً؟!" ذلك أن المرء إذا لم يكن هو رحيماً كما ينبغي فسوف لا يصدق بأن الله رحيم، بل سوف لا يثق بمدى سعة رحمة الله، ومن ثم رحمة أولياء الله. ليس بوسعه أن يقتنع بأن صاحب الزمان(عج) يذرف الآن الدمع من أجله ويدعو له! يقول غير مصدق: "أيبكي(ع) من أجلي؟! ومَن أكون أنا ليفعل ذلك؟!" يتصوّر أن صاحب الزمان(عج) غير مبالٍ به، لأنه هو لا يبالي بالآخرين.

يقول المثل: «يحسبُ المَمطورُ أنّ كُلاًّ مُطِرَ»، فالذين لم يخْطُوا خطوة في جادة الرحمة والرأفة لا يدركون رحمة الله كثيراً. إذن ماذا عسانا نفعل لنصدّق برحمة الله ورأفة أوليائه؟ علينا نحن أن نتّصف بالعطف والرحمة، وعندها سوف لا يزداد إيماننا بأن الله رحيم فحسب، بل ستتعاظم رحمة الله بنا أيضاً، وذلك لقولهم(ع): «ارْحَمْ تُرْحَم» (أمالي الصدوق/209).

بل إن الله عزّ وجل يسلّط علينا ـ شئنا أم أبينا ـ بعضَ من يؤذينا ليمتحننا فيتبيّن مدى رحمتنا بالآخرين. ولعل الحكمة الأهم من ذلك هي لكي يُعلَم إذا ما كنا سنرحم هذا الإنسان المذنب أم لا؟

ينبغي أن تتجلى صفة رحمانية الله في نفسك قليلاً، فإذا تجلّت في نفسك هذه الصفة ازدادَ إيمانُك برحمة الله تعالى، وعندها سيزداد نصيبك من هذه الرحمة أيضاً.

إذا أردنا التصديق بأن الله رحيم وأحببنا أن لا نكون من القانطين فلا بد أن يرحم بعضُنا بعضاً. لعن الله الذين يولون "حقوق الإنسان" أهمّية أكبر من "التراحم" بين الناس، ويُبرزونها ويروّجون لها، فأمثال هؤلاء إنما يسعون إلى محو التراحم بين الناس!

فليتراحم الزوجان فيما بينهما لأنهما مطّلعان على مساوئ بعضهما البعض. فإن لم يتراحما وأحبّا أن يتعاملا مع بعض وفق الضوابط والقانون فسوف لا يبقى من علاقتهما شيئاً!

في الخبر: «مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فِي حَاجَةٍ فَإِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاقَهَا إِلَيْه» (الكافي/ ج2/ ص196) فلا يردّه خائباً.

أوَليس أشدّ ما نحتاج إليه هو رحمة الله؟ كيف إذن ننال هذه الرحمة؟ نحن بشر والبشر يحصلون على كل شيء بالكسب والاكتساب. والسبيل إلى ذلك هو: «ارْحَمْ تُرْحَم». ولنتذكّر أن الحكمة من أخطائنا واحتياجنا إلى بعضنا البعض هي أن نكون رحماء كي ننعم برحمة الله تعالى.

إذا أخطأ الآخرون في حقك فاصفح عنهم، فهذا القرآن يصرّح: «وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم» (النور/22). فمن تجليات رحمة الله هي المغفرة، ولا بد لهذه المغفرة (الصفح عن أخطاء الآخرين) أن تتحقق في حياتك.

إنّ من مستلزمات إدراك رحمة الله هي الرحمة التي ينبغي أن تشيع بين المؤمنين وأفراد المجتمع. بأيّ شكل تتجلى عدم الثقة برحمة الله في مجتمعنا، وهو ما يجعل الإنسان قاسيَ القلب سيّئ الخلُق؟ إنّها تتجلى بصورة مرض عمومي متفاقم وهو "عدم تعامل الناس مع بعضهم البعض برحمة".

نحن، في العادة، نفرّط بفرص التراحم والتعاطف فيما بيننا لاجئين إلى القانون لنجعله بديلاً عن هذه الرحمة! والقانون ـ في واقع الأمر ـ يقف، في كثير من الأحيان، عائقاً أمام الرحمة. فلا ينبغي للناس أن يلجأوا إلى القانون باستمرار.

يقول الإمام الكاظم(ع): «إِنَّ أَهْلَ الأَرْضِ لَمَرْحُومُونَ مَا تَحَابُّوا» (مشكاة الأنوار/ ص52). أي ما دام الناس متحابّين فإنهم سيُشمَلون برحمة الله وشفقته حتى وإن كانوا كفّاراً.

فحيثما تَرحَموا فتيقّنوا بأن الله سيرحمكم، لكن المؤسف أن يقيننا هذا برحمة الله ضعيف أحياناً. وفي وسعكم أن تختبروا الله بهذا الأمر! قولوا: "إلهي، سأرحَم، وأنظُرَ ماذا ستصنع معي؟!"

#علي_رضا_بناهيان

علينا أن نتراحم فيما بيننا كي تشملنا رحمة الله تعالى. لكن هل علينا أن نسأل الآخرين أن يرحمونا أيضاً؟ كلا، لا تطلبوا رحمة الآخرين، فرحمة الله سبحانه هي من الحلاوة ما لا حد له ولا حساب!

يبعث الله إليك أحياناً أناساً يعاملونك برحمة ليرى إن كان قلبُك سيميل إليهم؟ حاوِل، إذا عاملك امرؤ برحمة، أن لا تكترث كثيراً وأن لا تولي ذلك أهمية تُذكر. كما يتعيّن علينا لدى تربية الطفل أيضاً أن ننشئه بحيث لا يبالي كثيراً إذا تعاطى معه أحد وعندها سوف لا يستطيع أحد، ببعض الرحمة والعاطفة، أن يجتذبه إليه ويُضِلّه عن السبيل.

ينبغي أن نرحم الآخرين لكن لا نتوقعنّ كثيراً أن يجازونا على ذلك. فإنك إذا لم تتوقع المجازات من الآخرين فستعيش حرّاً، ولا تنصدم، ولا تذهب رحمتك سُدىً، وستتمكن من المواظبة عليها.

الله موجود، وسيجازيك على رحمتك، فلا تنتظرَنّ رحمة الآخرين بك! فإنك إذا رحمت أحداً (كما في مضمون الخبر) ولم يجازك على رحمتك له أرسل الله من يرحمك أضعاف تلك المجازاة! وهكذا يدرك الإنسان رحمة ربه، هكذا يتّسع الأفُق له كي يدرك أن الله رحيم.

ما العقبة التي تقف أمام إدراك رحمة الله؟ لماذا نحن لا نصدق بأن الله رحيم رؤوف؟ لأننا أنفسنا نعيش حياة رديئة وأننا غير رحماء. فإن لم يرحم بعضُنا بعضاً لم ندرك رحمة الله تعالى. أما إذا رحِمْنا غيرَنا فهل سنشاهد ثمرة هذه الرحمة؟ منَ الله، نعم، أمّا من خلقه فغير معلوم، بل في العادة لا!

المؤمنون يفضّلون أن يُرحموا من قِبل الله، لا من قِبل خلقه! بل تصل بهم الأمور إلى أنهم لا يرغبون أصلاً في رحمة غير الله، بل ينزعجون منها! يقولون: "إلهي، لستُ أسال سوى رحمتك، أريدك أنت أن تلطف بي..!"

ماذا نصنع كي تتفجر مواهب أطفالنا؟ لا تتفجر مواهب الإنسان إلا إذا أحس أنه ثمة سند عظيم من رحمة الله اللامتناهية وراءه. هذا هو الأساس في تفجُّر الموهبة! وإلاّ فإن الضغط النفسي الذي يحثّنا على ممارسة نشاطٍ ما يحطم الإبداع فينا! الضغط النفسي الذي يدفعنا إلى الدراسة وإيجاد فُرصة عمل يدمّر الإبداع.

لكي ننشئ أطفالنا مبدعين علينا أن نزرع فيهم اليقين بأنه: "ثمة إله رحيم في غاية العظمة يساندك، ويرعاك، فحتى لو فقدتَ أبويك، وحتى لو تركك جميع أصدقائك، فإنه موجود، ومهتم بك".

ما الذي يتعيّن فعلُه في المدرسة لكي تتفجر طاقات التلاميذ؟ علينا أن نغرس في أنفسهم اليقين بأنه "ثمة مَن هو في منتهى الرحمة بكم، وهو الله الرحيم!"

إحدى معوّقات إدراكنا بأن الله رحيم هي أننا قلّما نتحلّى "بروح الشكر". والتحلّي بهذه الروح أمر في غاية الصعوبة إلى درجة أن الله يقول في محكم كتابه: «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» (سبأ/13).

من أبرز ما نردده من أذكار في مقام شكر الله تعالى هو "الحمد". فأنْ يُوجِب الله علينا قراءة سورة الحمد في كل صلاة، وهي السورة القرآنية الوحيدة الواجبة، فمغزاه أنّ علينا أن نلقّن أنفسنا بالحمد على نحو متواصل كي تنفتح ألسنتنا بشكر الله تعالى، فإذا انفتحت ألسنتنا بحمد الله وشكره وشاهدنا نِعَم الله علينا، فستنقلب نفسيّاتنا تدريجياً، وتتفتح أعيننا، رويداً رويداً، على رحمة الله.

وهذا منهاج واضح أشد الوضوح ودقيق جدّاً لتربية الإنسان من أجل أن يدرك رحمة ربه. فإذا أدرك هذه الرحمة ازداد تمنّيه لها. وإذا استوعب هذه الرحمة فستستقيم الكثير من أموره وسيَصلُح أكثر ما أفسده بشكل تلقائي.

كثيراً ما نتوقع أنه لا بد أن تنزل علينا نِعَم وافرة لكي نلمس رحمة الله ونؤمن بها، لكن هذا لا يحصل عادةً! لماذا؟ لأنه من الواضح عند الله أنه لا أحد يلتفت إلى رحمة الله من خلال "النِعَم"، بل يلتفت إليها عبر "روح الشكر"، بل إن النعمة ـ بالمناسبة ـ كثيراً ما تبعث على الغفلة!

هناك فرق بين "روح الشكر" وبين أن يشكر الإنسانُ في بعض الأحيان. فروح الشكر هي أن يرقُب الإنسان لدى كل نعمة صاحبَها ويسعى لشكره حيثما واجهه، وهذه روح في غاية العلو، ونحن قلما نمتلكها.

لا معلومات الإنسان ولا إمكانياته تُعَدّ مصيرية من أجل تطوّره وتكامله، بل المصيري في هذا المجال هو رغباته ونفسيته! فالبعض يُولي قيمة كبرى لما يحمله الإنسان من علم ومعلومات في حين أن تأثيرهما طفيف! بل قد لا يكون للعلم أي أثر حتى إذا بلغ حد اليقين؛ فهذا كتاب الله يقول: لقد كفر بعضهم بالحق مع تيقّنهم منه: «وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ» (النمل/14).

يتبع...

يقول الله تعالى في كفران النعمة: «وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ» (سبأ/17). لكن لماذا يتعاطى الله تبارك وتعالى مع كفران الإنسان بغضب؟ لماذا يعاقب الإنسان الكفور؟ لأنه لم يعد ثمّة أمل في هداية هذا الإنسان، فالأخير بما يحمله من روح الكفران، لا يستطيع أبداً لمس رحمة الله تعالى، ولذا تنقطع صلته بهذه الرحمة، ولا تعود هناك إمكانية لتكامله.

إذا نزلت بالإنسان بليّة فلا ينبغي أن يقول: "أيُّ ذنب أذنبتُه لتنزل بي؟!" فالإثم الذي نقترفه واضح تماماً؛ إنّه كفران النعمة! فلا تقل إذن: "أيّ ذنب أذنبتُه؟" فكلّنا مبتلون بصغائر الذنوب. لكنّ أكثَر الخطايا لا تُنزِل بالإنسان من البلاء مثلَ ما يُنزِله به الكفران!

لفظتا "الكفر" و"الكفران" متقاربتان من حيث المعنى. ففي قوله تعالى: «ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ» (سبأ/17) جاءت اللفظتان متعاقبتان. فالكفران يؤدي بالإنسان إلى الكفر. لأن الكفر ـ في الواقع ـ إنما يجعل الإنسان "كافراً" لأنه يحجب الحقيقة! فأيُّ كفر يا ترى أفظع من حجب حقيقةٍ كأنعُم الله عز وجل!

من أجل أن نصدق بأن الله رحيم وتطيب صلتنا القلبية به سبحانه وتعالى يتعيّن علينا أن نلجأ إلى "الحمد"، ونحفّز في أنفسنا روح الشكر، ونظل نراقب أنعم الله علينا. فابدأوا من إحدى الليالي بتدوين أنعم الله، وانظروا كيف ستغدو أحوالكم؟ قيّدوا ما أسبغه الله عليكم من النعم.

يعمل إبليس على جعل ابن آدم ينظر دوماً إلى ما في يد غيره من النعم! حسنٌ، انظُر إلى ما في يدك أنت من النعم، وسترضى وتقول: "إلهي، هذا ممتاز!" وما إن ترضى حتى تتفتّح أبواب النعم.

لأي شيء أُمِرنا بالحَمد بكل هذا التأكيد؟ لأن الحمد هو، بحد ذاته، تلقين لنفسك من أجل أن تستذكر أنعم الله تعالى وتلتفتَ إليها. فإذا التفَتَّ إلى أنعم الله، لمستَ رحمته عز وجل. وإذا لمست هذه الرحمة باستمرار، عبر هذا التلقين، فستصدق ـ شيئاً فشيئاً ـ أن هذا الإله رحيم وسوف لا تعود إلى عصيانه أبداً. وفضلاً عن طاعتك له فإنك نفسك ستصبح رحيماً، ذلك أنك عبدُ ذلك الإله الرحيم، وحينذاك سوف لا يغدو "صلاحُ أمرك" عسيراً. فمنشأ كافة أفعال الله في حق عباده هي الرحمة، ولأجل ذلك ستنطلق جميع أفعالك في حق الآخرين من منطلق الرحمة.

فإذا بلغْنا هذه المرحلة فسيطرأ علينا تغيُّر آخر جميل جدّاً، يُعدّ أساساً لكل تغيُّرٍ جميل، ألا وهو أننا سندرك إمامنا(ع)، ذلك أن الإمام(ع) هو الشخص الذي يحمل هذه الرسالة عن محبّة ورأفة، وهو يحب الناس أيما محبة. فقلب رسول الله(ص) المقدّس مُترَع بالحب والرأفة لبني البشر. وأهل البيت(ع) كانوا يتعذّبون هم، لكنهم ما كانوا يتحملون رؤية الناس تتعذب. أيُّ أسرة هي هذه الأسرة! أسرةٌ تعشق الناس! فهل رأيتم ما صنعوا بهذه الأسرة؟!..

هناك بعض المشكلات في ثقافة المجتمع لا بد من علاجها وإلا فسيكون أمر الإصلاح شاقّاً. هذا وإن الأعداء ـ بدءاً من إبليس، ووصولاً إلى تيار النفاق والكفر في الداخل، وانتهاءً بأعداء الخارج من أمريكا وإسرائيل ـ يعملون دائبين، ليل نهار، لتشويه ثقافتنا.

لا تكادون تشاهدون صفحة في شبكات العالم الافتراضي تتحدث عن إيجابيات وحسنات مجتمعنا، بل التصوّر السائد هو أن صفحات التواصل لا شغل لها سوى إذاعة السلبيات ومَواطِن الفساد! وهذا، لعمري، مرض ثقافي يتعين على مؤسسة التربية والتعليم التفكير في حلول جذرية لعلاجه.

حينما تسود الروح السلبية في أغلب أفراد المجتمع وتصبح "النظرة الإيجابية" نادرة كالدُرّ، فما من شك في أنه ثمة معضلة جوهرية في نظامنا العام للتربية والتعليم الذي يُنشئ الأطفال مدة اثنتي عشرة سنة!

لقد وصل الحال بثقافتنا أنّه إذا جلس أحد إلى صاحبه وسأله: "كيف الحال؟" بادره صاحبه بجواب: "ماذا عساي أقول؟!! تعاسة، بُؤس،..!!" ثم يبدأ في تعداد الأمثلة على بؤسه..! لقد صار هذا مضمون حواراتنا!

إذا أحببنا أن نفهم ماهية رحمة الله فإن أصل رحمته تعالى هو في نِعَمه، غير أن مشكلتنا هي أننا لم نتعود النظر إلى ما عندنا من النعم، بل نريد مشاهدة ما لا نملكه منها ليس إلاّ!

علينا في مجالس الدعاء أن نبدأ ـ قبل سؤال الله أيّ حاجة ـ بتعداد ما أنعمه عز وجل علينا نعمةً نعمة فنقول: "إلهي، لقد وهبتني كذا، وأعطيتني كذا، ..الخ" كي تتولد في أنفسنا باستذكار النعم حالة الإقبال وتنهمل أدمعُنا، ومن ثم نشرع في المسألة فنقول مثلاً: "اعطني كذا، أريد كذا، ..الخ".

تضج نصوصنا الدينية (من قرآن، وأدعية، وزيارات، وما إليها) بموضوع "الحمد" لكننا إذا ألقينا إلى ثقافتنا نظرة وجدناها أبعد ما تكون عن روح الحمد والشكر!

المعلّم الأول المسؤول عن غرس روح الشكر في أفراد المجتمع هي الأمهات والسيدات عموماً. فعلى الأم أن تلقّن أولادها لسان الشكر. وحتى لو بدأ الأب، إثر عودته إلى المنزل، بتتبُّع العثرات فإنّ على الأم أن تُلمِّح له ـ بشكل لا يُلفت انتباه الأطفال ـ لمنعه من ذلك.

يتبع...

يقال في علم النفس إن الأم التي تشكو بَثَّها وآلامَها أمام طفلها فإنها تورِثُه التعاسة! ذلك أن هذا الطفل سيتحول ـ شيئاً فشيئاً ـ إلى شخص سلبي وتنتابه آلاف العيوب. أما إذا كان المرء إيجابياً فإن العالم سيتغيّر حقّاً عبر النظرة الإيجابية، والحمد، والشكر، ومشاهدة النعم.

لا بد أن ترقى العلاقةَ بين الزوجين إلى علاقة عاطفية، لا علاقة حقوقية! فإذا حلّ القانون محل العاطفة والرحمة في الأسرة فسيفنَى كل شيء. حتى علاقتنا مع الله يسعى البعض، لدى تبليغه للدين، إلى جعلها علاقة حقوقية، لا عاطفية! فإن ما ينبغي أن نركزه في الأذهان في عملية تبليغ الدين هو رحمة الله، وأنّه عزّ وجلّ "في غاية الرحمة والرأفة بنا". فهذا مبدأ، وعلينا ترسيخه في الأذهان.

عن رسول الله(ص) أنه قال: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا» (تحف العقول/ ص37).

صحيح أن لله في أعناقنا حقّاً عظيماً جداً، لكن الحديث عن هذا لا يجعلني أرتقي في عبوديته عز وجل! أنا أريد مَن يعطف عليّ. إذن خبِّرْني عن عطف الله ورأفته. حدِّثْني عما أسبغَ عليّ من نعماء. علِّمْني كيف ألمَس النِّعَم التي أغدقَها عليّ!

إنّ رحمة الله لا تُدرَك بالنعم، بل بمشاهدة هذه النعم ولَمسها، والتمتّع بروح الشكر عليها. فإذا أدركتَ رحمة الله بك فسيُعِيرك الله عنايتَه أيّما إعارة.

لا حد ولا وصف لروعة مناجاة الله، وجمال البكاء في حضرته، ولذة التأوّه والأنين بين يديه إذا صدرَت من عبد شكور لله. فالمناجاة بالنسبة لأمثال هؤلاء نوعٌ من الإفصاح عن الأحاسيس، وليس مجرّد التزام!

ما سبب ضعف إقبال الناس على مجالس الدعاء والمناجاة؟ السبب هو انهم لا يأنسون بالدعاء ولا تستثيرهم المناجاة. لماذا؟ لأن الإنسان غير الشكور لا يجد في نفسه إقبالاً على المناجاة، ولذا لا تكون فعّاليات من قبيل الدعاء والمناجاة والاستغفار ذات متعة بالنسبة له.

المناجاة والاستغفار هما شأن أولئك الذين يتمتعون بروح الشكر، فهم يستَحون من ربهم قائلين له: "إلهي، اعفُ عني ما وسعكَ العفو! فلقد أحسنتَ إليَّ، ولكنّي أسَأتُ إليك.."، وهي حالة أشبه ما تكون بالسيل الذي يجرف معه كل ما في المدينة من قاذورات، بل ويتركها جميلة تنعم بحياة هادئة

إذا سألت الأولياء والصالحين من أمثال الإمام الخميني(قده) أن: "كيف بلغتُم هذا المقام؟" لأجابوك: "برحمة الله ولطفه". وإن قلتَ لهم: "نتيجة جهودكم أنتم" لقالوا: "الله الذي وفّقنا لهذه الجهود"!

كان بإمكاننا نحن أيضاً ـ شأن هؤلاء الصالحين ـ أن نستفيد من لطف الله عز وجل، لكننا قلّما ننهل من منافع رحمة الله، ولا نتعامل مع هذه الرحمة بفطنة وانتهازية كي نزداد منها نصيباً. يقول الله في محكم كتابه العزيز: «مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ [عذاب جهنم] يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ [الله]» (الأنعام/16). رُوي أنّ النبي(ص) قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

بِعَمَلِهِ! قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» (مجمع البيان/ ج4/ ص434-435).

على أنّ من بين موانع الانتفاع من رحمة الله والتمتع بها مانع ينُمّ عن حُمق كبير وهو إذا اشتدّ أحبط عمل الإنسان كله. هذا المانع لا يعيق إدراكنا لرحمة الله فحسب، بل يحول دون استفادتنا من هذه الرحمة أيضاً. وهذا المانع هو "العُجب"، أي الاغترار بمقتنيات النفس وحسناتها. فإننا لا نناجي الله أبداً كما يناجيه قاطعُ طريقٍ بلطجِيّ متمرّد! انظروا إلى أدعية أئمة الهدى(ع)، كأنّهم ـ إذ يدعون الله ـ يرون أنفسهم أشد جرماً منا!!

كم أودّ في ليلة القدر لو أعثر على شخص مُلئ سجلُّه بالجُرم وهو يحضر مراسم الإحياء لأول مرة، لا جرأة لديه على الكلام، ولا تطاوعه نفسه على وضع القرآن على رأسه وقول: "إلهي، العفو"! فأخاطب ربي: "إلهي، أعطني كلَّ ما تعطيه لهذا الرجل" لأنه ليس في نفسه ذرّة من عُجب. يغادر الناس في نهاية المراسم إلى منازلهم فرحين، أما هو فيظل واقفاً، وينطق في النهاية قائلاً: "إلهي، أتراكَ نظرتَ إليَّ أنا أيضاً؟! إن لم تنظر إليّ فسأصرخ بالبكاء!" وهي عين العبارة في أواخر دعاء كميل: «وَسِلاحُهُ البُكَاء»، "واللهِ لأبكِيَنّ!"

على كل امرئ أن يتوجه إلى الله دونما عُجب وغرور، منكسرَ القلب، كالخالي الوفاض من أي شيء، وإلا فسوف لا ينال شيئاً! فلا نُعَوِّلَنّ على أنفسنا، وحينذاك سننعم برحمة الله، كما غفر الله لقاطع الطريق ذاك، إذ قد هوى ساجداً في آخر المطاف وراح يخاطب ربه: «يَا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ ارْحَمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ الدُّنْيَا وَلا الآخِرَة» (التحقيق في كلمات القرآن الكريم/ ج6/ ص295)، "لستُ يا إلهي أملكُ شيئاً"، وقد صدق، ولذا فلقد غفر الله له!

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «فَلا يَتَّكِلِ الْعَامِلُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِثَوَابِي..»، لا يعتمدوا عليها لأنهم يأتون بها من أجل ثوابي. «فَإِنَّهُمْ لَوِ اجْتَهَدُوا، وَأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَفْنَوْا أَعْمَارَهُمْ فِي عِبَادَتِي كَانُوا مُقَصِّرِينَ غَيْرَ بَالِغِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ كُنْهَ عِبَادَتِي فِيمَا يَطْلُبُونَ عِنْدِي مِنْ كَرَامَتِي، وَالنَّعِيمِ فِي جَنَّاتِي، وَرَفِيعِ دَرَجَاتِيَ الْعُلَى فِي جِوَارِي، وَلَكِنْ فَبِرَحْمَتِي فَلْيَثِقُوا، وَبِفَضْلِي فَلْيَفْرَحُوا، وَإِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِي فَلْيَطْمَئِنُّوا، فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تَدَارَكُهُمْ.. فَإِنِّي أَنَا اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَبِذَلِكَ تَسَمَّيْتُ!» (الكافي/ ج2/ ص61).

وقال الله جل وعلا لداوُد(ع): «يَا دَاوُدُ، بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ.. بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ أَنِّي أَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَأَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ، وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ أَلاَّ يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَنْصِبُهُ لِلْحِسَابِ إِلاَّ هَلَكَ!» (الكافي/ ج2/ ص314) إذ سوف لا يبقى لديه شيء!

ماذا نصنع كي لا نعوّل على أنفسنا حتى نستفيد من رحمة الله تعالى؟ أدعية أئمة الهدى(ع) فرصة ذهبية حقّاً في هذا المجال. انظر إلى الإمام السجاد(ع) كيف يناجي ربه! وإلى الإمام الحسين(ع) وهو يدعو في عرفة! وتصفّح أدعية أمير المؤمنين(ع)!

فهذا الإمام زين العابدين(ع) يخاطب ربّه: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ الْيَوْمَ فَقْرِي وَفَاقَتِي وَمَسْكَنَتِي، وَإِنِّي بِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَوْثَقُ مِنِّي بِعَمَلِي» (الصحيفة السجادية/ الدعاء48).

استمتاعك بحسناتك يحُول دون استمتاعك برحمة الله!

البعض يلتذّ "برحمة الله" ذاتها، لا أنه يستفيد من منافعها فحسب.

بعيداً عن المنافع الدنيوية والآثار الأخروية والروحانية لرحمة الله فإنّ رحمته تعالى نفسها مُثلِجَة للقلب ومدعاة للّذة.

إخفاقاتنا في مضمار الصالحات تعود في كثير من الأحيان إلى خشية الله من أن نُصاب بالعُجب أو نُبتلى بالغرور.

#علي_رضا_بناهيان

إنّ رحمة الله ولطفه في متناول أيدينا، وإن الله لمشتاق لأن يعاملنا برحمة، فلماذا إذن لا نستفيد كثيراً من هذه الرحمة؟ إننا نعاني من مشكلتين أساسيتين؛ الأولى هي أننا لا نستفيد من منافع رحمة الله إلا قليلاً. والثانية هي أننا لا نلتذّ بهذه الرحمة. فبعيداً عن المنافع الدنيوية والآثار الأخروية والمعرفية والروحانية لرحمة الله فإن رحمته تعالى نفسها مُثلجة للقلب ومدعاة للّذة! بالضبط كما يلتذّ الطفل ـ بعيداً عن الطعام والشراب ـ بمحبّة أمه ويعتبرها مهمة له.

الأطفال يأنسون ويتسلّون بدمية، وهي تعلّقات حقيرة واطئة في نظر الكبار، لكننا أيضاً لا نختلف عنهم! ولا بد أن تكون تعلقاتنا أعظم وأفضل

مما هي عليه! يا ليتنا نُنتج مسلسلاً تلفزيونيّاً يكون تعلّق بطل القصة فيه بالظفر برحمة الله ووصال حضرة الحق تعالى بدلاً من تعلّقه بالزواج! وهذا تراثنا يحوي 200 ألف شهيد بدأت قصصهم بالتعرّف على الله وحبّه فساقهم ذلك إلى عشقٍ فدَو أرواحهم في سبيله!

هناك من الناس من يضيق صدره إذا قلّ في ليلةٍ ما بكاؤه بين يدَي ربّه أو ضعُفَت في ساعةٍ ما مغازلته له! أمثال هؤلاء يلتذون برحمة الله نفسها، لا أنهم يستفيدون من منافع هذه الرحمة فحسب.

إن مما يعيق استمتاعنا برحمة الله رغبتُنا في الاستمتاع بكوننا صالحين! يقول البعض: "مهما أفعل فإنني لا أرضى عن نفسي!" لكن ليس من المقرَّر، أساساً، أن ترضى أنت عن نفسك. الله هو من يجب أن يرضى عنك! لا تسعَ للرضى عن نفسك، وسيُصلح الله أحوالَك.

معظم ما نعانيه في الدنيا من اضطراب وتشوُّش يرجع إلى خشية الله من أن نصاب بالعُجب أو نُبتلى بالغرور. وكأنه تعالى يقول: "لا أوفّق عبدي لئلا يصاب بالغرور". فإذا لم نغترّ بأنفسنا فستنزل رحمة الله علينا، وسنلتذّ بها.

يقول الإمام الراحل(ره) في باب الرياء والعجب من كتابه "الأربعون حديثاً": "أَوَيمكن أن يصبح المرء صالحاً دون أن يُعجَب بنفسه؟ فصلاحه هذا بالذات يكون حجر عثرة في طريقه!" فما إن نرى أنفسنا مُحقّين، ولو قليلاً، فإننا نشمَخ بأنوفنا حتى على الله!

للمرحوم آية الله الشاه آبادي(ره) ـ استاذ الإمام الخميني(ره) في العرفان ـ مصطلح ثقيل الوزن ومخيف وهو: "غرورُ تأييد الحق!" ومعناه: حين يكون الحقّ معَنا يستحوذ علينا الغرور في العادة. فغرور تأييد الحق يقع في مقابل عناد أهل الباطل، وكلاهما سيّئ.

نحن نسعى في العادة إلى الاستمتاع بكوننا صالحين، بل ونستمتع بذلك أحياناً، مع الأسف، وهو استمتاع في منتهى الحرمة! وما علامة الحُمق إلا أن يرضَى الإنسان عن نفسه. فمن الطبيعي أنّ في رضَى الإنسان عن نفسه لذّةً ما. لكن ما العمل؟ الحل هو أن لا تثق بنفسك (أي لا تتّكل على صالحاتك)، بل اجعل اتّكالك على الله! وهذا ـ بالطبع ـ صعب، ولا يتسنّى إقحامُه في برنامج حياتنا العادية.

أيهما أفضل، أن نريح بالنا أم أن يرضى الله عنا؟ لماذا نحاول أحياناً الوقوف على أقدامنا؟ فأنت تودّ لو يكون المنزل منزلَك، ويكون العمل خاصّاً بك، بل وتكون مستقلاً عن الله أيضاً إن أمكن! لماذا نحمل تصوّراً خاطئاً عن الحياة؟

تمنّي رحمة الحق تعالى يستلزم أن يتّصف المرء بروح مميّزة. فلو لم ينظر الله إلينا ولم يرحمنا شَقينا. إذن علينا أن نستجدي رحمة الله غاية الاستجداء. فإن لم تحضَرك حالة الاستجداء هذه فاجلس على سجّادتك وفكّر مليّاً، فإن لم تحضَرك أيضاً فوبّخ نفسك. قل: "تعساً لكِ من نفسٍ عديمة القابلية!" واسأل اللهَ عفوَه على الحال التي أنت عليها، علَّكَ تنجو منها!

التصوُّر الذي يحمله الكثير من المتدينين هو: **"**كن صالحاً كي لا تكون بحاجة إلى كل هذا التوسّل والتخضّع بين يدي الله**!"** فالإنسان إذا لم يُرَبِّ نفسَه فمن الطبيعي أن يصل إلى هذا المستوى.

فالله لا يهب توفيقاته العظمى إلا لشخص لا يأخذه الغرور، مثل السيدة خديجة(س). فلقد قبل الله تعالى من هذه السيدة الجليلة فأصابَت مثل هذا التوفيق العظيم وهو خدمة دين الله ورسول الله(ص). لا بد أن من جملة ما يميّز السيدة خديجة(س) هو أنها وهبَت كل ما تملك ولم تشعر، قيد شعرة، أنها خطَت خطوة، وإلا لما حباها الله بكل هذا التوفيق. إنها امرأة نعمَت بالثراء، ثم وهبت كل ما تملك في سبيل الله دون أن تغترّ ذرّةً بنفسها**!** إنها السيدة خديجة(س) بكل عظَمتها.

إحدى المعوقات لإدراك أن الله رحيم هي الذنوب وما تولّده من يأس

ما الآلية التي تؤدي بالإنسان إلى اليأس إذا أذنب؟

#كيف_نصدق_بأن_الله_رحيم؟ (المحاضرة12)

مع أنّ المرء إذا أذنب ينبغي أن يلحّ أكثر في طلب المغفرة والرحمة من ربه لكنه ـ على العكس ـ يقلّ إلحاحه**!**

المعصية نفسها تَحُول دون استغفار الإنسان. فهناك في داخل الإنسان آلية تجعله يقنط من رحمة ربه إذا عصاه.

كلما انخفضت نسبة خطايا الإنسان ازداد إيماناً برحمة ربه.

#علي_رضا_بناهيان

إحدى المعوقات الأخرى لإدراك أن الله رحيم والانتفاع من رحمته هي "الذنوب وما تولّده من يأس". هناك آلية في كيان الإنسان تجعله يقنط من تلقاء نفسه بمجرد أن يرتكب المعصية أو يلاحظ في نفسه سيّئة!

على الرغم من أنّ الإنسان إذا أذنب يكون أكثر حاجة إلى رحمة ربه وينبغي أن يلح أكثر في مسألته واسترحامه لكنه ـ على العكس ـ يقل إلحاحه في طلب مغفرته ورحمته، ويقل ـ بالطبع ـ تصديقه برحمته عزّ وجل! فإذا قل تصديقه برحمة ربه تناقص شمولُه بهذه الرحمة وزاد قلبُه قسوة.

قد لا يبعث الذنبُ من القسوة في قلب الإنسان بقدر ما يبعثه اليأس من رحمة الله! أي إن حالةً من القنوط من رحمة الله تنتاب الإنسان بعد أن يذنب فيقسوا قلبُه لأجل هذه الحالة.

الناس ـ في العادة ـ لا يستغفرون الله بقدر معاصيهم، بل بمقدار طهارة قلوبهم! انظروا إلى أولياء الله كم يستغفرون؟! فكلما انخفضت نسبة معاصي الإنسان تعاظم إيمانه برحمة الله وتضاعف إلحاحه في طلب هذه الرحمة، وهذه ظاهرة عجيبة في الإنسان!

يكرّر الله تعالى في كتابه العزيز وصف نفسه "بالغفور الرحيم" أكثر من ثمانين مرة. فلماذا كل هذا التأكيد منه سبحانه على "أنني غفور وأنني رحيم"؟ السبب هو أن الإنسان العاصي، وهو ـ بالمناسبة ـ المحتاج لعفو ربه، ينتابه سلوكٌ دفاعي سيّئ يحرّضه على عدم الاعتذار! أي إن المعصية ذاتها تَحُول دون اعتذار صاحبها. وبعبارة أخرى: إننا حينما نذنب فإننا نحكم على الله في أذهاننا، مسبقاً، بأنه غير رحيم!

الله يعلم أن الخطيئة تولّد في الإنسان حالة من القنوط، وهو لهذا يدعو الخاطئين، بعناوين شتّى، إلى عدم القنوط: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله» (الزمر/53). فلا ينبغي لذنوبنا وسيئاتنا أن تدعونا إلى اليأس من رحمة الله تعالى، ذلك أنّ مغفرة الله إنما جُعلَت لهذه الأمور!

ما الذي يمنعنا من الاستفادة من رحمة الله والتصديق بأن الله رحيم؟ إنها ذنوبنا وسيئاتنا! فالصالحون يُلِمّ بهم ـ في العادة ـ العُجب والغرور بسبب صالحاتهم فلا ينتفعون من رحمة الله (فالعُجب والغرور يدفع صاحبه إلى الشعور بأنه غنيّ عن رحمة ربه)، والعاصون أيضاً قانطون من رحمة ربهم بسببٍ من معاصيهم.

الذنب نفسه يفعل بصاحبه ما يقوده إلى اليأس من رحمة الله تعالى. لكن ما آلية هذه العملية؟ ما الذي يجعل الإنسان يقنط إذا أذنب؟ هناك عاملان لذلك؛ عامل خارجي، وعامل داخلي.

يتبع...

يحرَم الصالحون من رحمة الله بسبب عُجبهم وغرورهم، ويُحرَم الطالحون منها بسبب ذنوبهم.

لماذا نرى الإنسان إذا أذنب يَئِس فلم يستغفِر؟ هناك لهذا عاملٌ خارجي هو "إبليس"، وعامل داخلي هو "التكبّر".

#علي_رضا_بناهيان

العامل الخارجي هو "إبليس". فما إن يقترف الإنسان الخطيئة حتى يزرع إبليسُ في نفسه اليأس قائلاً له: "أتريد أن تعتذر؟! لم يمضِ على خطيئتك لحظات! لا فائدة! من ذا الذي سيسمع اعتذارك الآن؟! عن نفسي أنا أستبعد ذلك! فأنت لم تكن جاهلاً ولم تفعل ما فعلت عن جهل!"

ثم إن هذا اليأس المتولد بعد كل معصية هو الحد الأدنى من اليأس، أمّا الحد الأعلى من اليأس هو قولنا لأنفسنا: "لقد أمضيتَ عمراً في الفساد، أوَتريد في ليالي شهر رمضان المبارك هذه أن تتدارك كل معاصيك الماضية وتُصلح كل مفاسدك السالفة لتكون كآية الله بهجت؟! هذا مستحيل!" وهذا هو اليأس من رحمةِ حضرة الحقّ تعالى نتيجة المعصية!

أما العامل الداخلي فهو "التكبّر". فهناك، ما عدا إبليس، عامل آخر يبعث في نفس المرء اليأس من رحمة الله إذا عصاه، وهو التكبّر.

ما الذي يدعو الإنسان إلى اقتراف الذنب؟ نستطيع القول إنّ الذنب ـ بنحو من الأنحاء ـ وليد التكبّر! وليست هذه قضية دينية أو روحانية محضة، أي إن أخطاءنا في أغلب الأحيان هي بسبب تكبّرنا وغرورنا! فإن أصابك ولو شيء من الغرور في مُختبرٍ ـ مثلاً ـ فسترى ـ للحظة ـ أنك أفسدت الاختبار، أو تغافلتَ عن دقّة علميةٍ ما. وإذا انتابك العجب أثناء عمل بحثي فسيفسد عِلمُك!

لماذا تعمل المعصية تلقائياً على غرس القنوط من رحمة الله في نفس الإنسان؟ لأن المعصية ـ باختصار ـ هي وليدة التكبر؛ "التكبر أمام الحق" أو أمام الله (فالحق يشمل الله وأيّ حقيقة أخرى). فلأي سبب كانت معصية إبليس؟ يقول القرآن الكريم: «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ» (البقرة/34).

فأعشاب التكبر الضارة تنبت في قلب الإنسان باستمرار وهذه بالذات هي الحكمة من الصلاة، وهي محو التكبر: «فَرَضَ اللهُ.. الصَّلاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْر» (نهج البلاغة/ الحكمة252).

فالذنب هو وليد التكبّر. فإذا تجلّى التكبر بسبب المعصية ضربَت جذورُه في كيان الإنسان أكثر. وإنّ طلب المغفرة من الله واسترحامه ـ من ناحية أخرى ـ يتطلّبان من الإنسان تواضعاً. لهذا فمن الواضح أن الذي رسّخَ التكبّرَ في نفسه بسبب المعاصي لا يستطيع أن يسأل الله رحمتَه ومغفرتَه.

ما الذي يجعل الإنسان، إذا أذنب، غير قادر على استجداء مغفرة الله ورحمته، ويصعّب الاستغفار على نفسه؟ السبب هو أن المرء إنما يعصي الله "لتكبّره"، وإن تكبّره يشتد بعد المعصية. ومن ناحية أخرى فإن استغفار

الله واستجداء رحمته تعالى يتطلب شيئاً من "التصاغر"، ولهذا فإن الذي "يتكبّر" في إثر الخطيئة لا يقدر على الاستغفار!

المقترح الأول: لا تُذنب كي لا تيأس.

المقترح الثاني: اعترف لله بذنبك.

لماذا يصعب الاستغفار بعد المعصية؟ لأنك ستضطر، من أجل الاستغفار، أن تتثلم أمام الله كبرياءَك وتتصاغر له وهذا يناقض التكبّر، الذي كان السبب في معصيتك.

لماذا الإقرار بالخطيئة ينجي الإنسان؟ لأنه يقتلع جذور التكبّر في نفسه، وهو التكبر عينُه الذي يَحُول دون تلقي رحمة الله تعالى.

#علي_رضا_بناهيان

ثمة آلية طبيعية في كيان الإنسان وهي أن المعصية نفسها تبعث فيه اليأس من رحمة الله تعالى. جزء من هذه الآلية يرجع إلى جهود إبليس الذي يعمل على الدوام على زرع القنوط في نفس الإنسان، والجزء الثاني إلى تكبّر الإنسان نفسه والذي يحول دون استغفاره.

مع أنهم(ع) قالوا: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً أَجَّلَهُ اللهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ» (الكافي/ ج2/ ص437) لكن ما الذي

يحصل فيجعل المرء، إذا أذنب، غير قادر على استرحام الله واستغفاره بسهولة؟ الذنب ناشئ عن التكبّر، وتكبّرك هذا هو الذي يمنعك من استجداء المغفرة من ربك. إذ يجب أن تسحق كبرياءك وتتصاغر أمام الله، وهذا يناقض التكبر!

فماذا نصنع إذن للتخلص من القنوط الناشئ عن المعصية؟ كيف يمكننا اجتياز هذه العقبة؟

المقترح الأول هو أن لا تُذنب، ذلك أنّ الآلية المذكورة أعلاه ستنشط تلقائيّاً بعد اقتراف الذنب وستجعلنا نقنط من رحمة الله تعالى.

المقترح الثاني، وهو علاج رائع، هو أن تُقِرّ لله بذنبك. يقول إمامنا محمد الباقر(ع): «وَاللهِ مَا يَنْجُو مِنَ الذَّنْبِ إلاّ مَنْ أَقَرَّ بِهِ» (الكافي/ ج2/ ص426)، والإقرار هنا، بالطبع، لله وليس لخلقه.

لكن ما الذي يجعل الإقرار بالذنب ينجي الإنسان؟ لأنه يجتث جذور التكبر الذي هو أصل المعصية. فلما كانت المعصية هي نتيجة التكبر فإن عليك أن تدوس على نفسك أمام ربك وتخاطبه: "إلهي، لقد أجرَمت.." ثم عدّد ذنوبك ذنباً ذنباً!

المقترح الثالث: اجعل قلبك طريّاً بمحبة أهل البيت(ع)..

المقترح الرئيسي من أجل تجاوز "اليأس الناشئ عن الخطيئة" هو أن "تعترف لله بخطيئتك".

شدّ الرحال إلى كربلاء وانظر كيف سيتحطم كبرياؤك في أحضان رحمة الحسين(ع).

#علي_رضا_بناهيان

فإنْ دُستَ بين يدي الله على كبريائك، ولو مثقال ذرة، فسيُنهِضُك الله تعالى قائلاً لك: "انهض يا حبيب قلبي!" فإنه هو الذي قال في كتابه العزيز: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» (البقرة/222). بل أنت لست بحاجة إلى المبالغة في الدَّوس على كبريائك وسحق نفسك، بل يكفي أن تنفطر حجارة قلبك كي ينفتح باب التوبة أمامك.

جاء في الخبر: «مَا بَسَطَ عَبْدٌ يَدَيْهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلاّ وَاسْتَحَى اللهُ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْراً» (من لا يحضره الفقيه/ ج1/ ص325). وكأنّ لسان حاله عز وجل يقول: "إنسانٌ وقور، لكنه يبسط إليَّ الآن يدَه كما يبسطها السائل، ولهذا لا أردّه خائباً!"

المقترح الثالث لاجتناب اليأس إذا أذنبنا هو تقوية محبة أهل البيت(ع) في أنفسنا بالزيارة، وإقامة العزاء، ولاسيما على سيد الشهداء(ع). وهو المقترح الذي اقترحه الله تعالى في كتابه على لسان نبيه الكريم(ص) على

المؤمنين جميعاً في قوله: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (الشورى/23). إذن أَحِبّ أولاد النبي(ص) وسيجعلون قلبَك طريّاً.

تكبر الإنسان يسد أبواب نزول رحمة الله عليه. حسنٌ، فلتفكّروا: ما الشيء الذي يمحق تكبّر الإنسان؟ صحيح أنّ الصلاة والإقرار بالمعصية يمحوان التكبّر في نفس الإنسان، لكنه إذا أصبح هذا التكبر في غاية الصلابة والقساوة فسوف لا يتحطّم بهما.

للشهيد القدرة على محو تكبر الإنسان والقضاء عليه. فما من أحد جاء قبور الشهداء إلا وانكسر واستحى من نفسه. فما بالك بما يصنعه سيد الشهداء(ع)؟ شُدّ الرحال إلى كربلاء وانظر كيف سيتحطم كبرياؤك في أحضان رحمة الحسين(ع). فإذا لم يستطع سيد الشهداء(ع) تحطيم كبرياء المرء فما من شيء باستطاعته تحطيمه. يقول المرحوم القاضي الطباطبائي(ره): "شاهدت في عالم المكاشفة أن رحمة الله الواسعة هي الحسين(ع)"!

احضر عند الشهيد وسيطرح هذا الشهيد تكبّرَك أرضاً! أما رأيت ما صنع الشهيد حُجَجي؟! لقد جعل الجميع تضطرب فحضرَت الملايين تشييع جثمانه؟ تعلمون أن الشهداء جميعاً صالحون، لكن ثمة في شهادة حججي عامل ظاهري أدى إلى اضطرابنا جميعاً، وهو مقطع فيلم قصير بُثّ له وهم يقتادونه..!

فلتتصوّروا الحال التي كان عليها أطفال الحسين(ع) لدى بروز علي الأكبر، والقاسم، والعباس(س)، ومن ثم الحسين(ع) إلى الميدان! لقد كانوا على علم بأن بروزهم هذا لا رجعة بعده..!

الطالب لرحمة الله لا يمكنه التوقف والله يجعله في كل لحظة أشد عطشاً له تعالى.

القناعة بالحد الأدنى يعني: اِرضَ بأن لا تدخل النار وأن تزول مآسيك.

إذا كنت في الحد الأعلى وطلبتَ أعلى الدرجات فستتأهّب، شيئاً فشيئاً، لتمنّي رحمة الله تعالى.

المفاسد كلها تنشأ من التوقف. سعى الكثيرون بعد الحرب إلى إلغاء "ذُرى الروحانية" و"لقاء الله" من ثقافة المجتمع المعنوية رافعين شعار: "كن عادياً!"

#علي_رضا_بناهيان

من السجايا التي تعوق إدراك رحمة الله تعالى، بل تحول دون التصديق بأنّ الله رحيم، بل ـ وفوق ذلك ـ تقف ضد تمنّي الإنسان لرحمة الله هي "القناعة بالحد الأدنى". والحد الأدنى هو "أن لا تدخل النار، وأن تتخلّص من مآسيك، وأن تكون إنساناً ناجحاً". أما إذا كنا في الحد الأعلى وطلبنا أعلى الدرجات فسنتأهّب، شيئاً فشيئاً، لتمنّي رحمة الله تعالى.

مشكلتنا هي أننا لا نجزع. وليس في مقدور الجنة والنار أن تخلق حالة جزع شديدة لدى الإنسان. جذبة حضرة الحق هي التي تولّد الجزع. كان آية الله الشيخ بهجت(ره) يوصي بمطالعة سِيَر العرفاء والعلماء التائقين. أو حتى سِيَر الشهداء ومن بلغ حد الاشتياق. فالطالب لرحمة الله لا يمكنه التوقّف، والله يجعله في كل لحظة أشدّ عطشاً له تعالى.

الدينُ سيارةُ سباق، لكننا نستعمله كسيارة أجرة قانعين بالحد الأدنى منه! يقول القرآن الكريم: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» (المُلك/2). وفي الحديث: «مَنْ أَسَاءَ مِنْكُمْ [الشيعة] إِسَاءَةً مَشَيْنَا إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَقْدَامِنَا فَنَشْفَعُ فِيهِ فَنُشَفَّعُ... وَاللهِ لا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَتَنَافَسُوا فِي الدَّرَجَات» (أمالي الطوسي/ ص296).

من عيوب مجتمعنا هي أنه ما من أحد يحاول سبق غيره. ولذا نرى الصفوف الأولى في صلاة الجماعة خالية دوماً! في حين أنه إذا رأى الإنسان في أمرٍ خيراً لتشبّث به تشبّث القرادة، «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد» (العاديات/8). فما جُعل الدين إلا ليصل الإنسان إلى حدّه الأعلى، وإنّ الجنة والنار والتورّع عن المعاصي ما هي إلا تمهيدات ووسائل لوضع الإنسان في هذا المسير.

يتبع...

لو قلتَ لشاب: "كن عادياً ولا تطلب المعالي!" فإنك تكون قد جنيت بحقه.

#علي_رضا_بناهيان

المفاسد كلها تنشأ من التوقّف. لقد برزت بين الشباب في مجتمعنا بعد الحرب مشاكل روحية وثقافية سببها محاولة الكثيرين إلغاء "ذُرى الروحانية" وقمّة "لقاء الله" من ثقافة المجتمع المعنوية، رافعين شعار: "كونوا عاديين!" السؤال هو: الشبّان الذين لم يكن أهاليهم قادرين على ترغيبهم في الصلاة ما الذي جعلهم يتحولون في أجواء الحرب إلى مقيمين لصلاة الليل؟! لأنهم شاهدوا قمة اسمها "لقاء الله".

جاء في الخبر: «إنَّ اللهَ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ لَمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ لَمْ يَفْرِضْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْكُمْ بَلْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْكُمْ، لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَبْتَلِيَ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ» فإن كان فيها خير نما، وإن كان فيها شرّ زال. ثم يذكر بعد ذلك هدفاً سامياً وهو: «لِتُسَابِقُوا إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلِتَتَفَاضَلَ مَنَازِلُكُمْ فِي جَنَّتِهِ» (تحف العقول/ ص485).

إننا لعديمو الإنصاف حقّاً! إذ من المهم لنا أن تكون دارنا ومحلتنا الدنيوية أفضل، لكن ليس يهمّنا أين تقع دارنا الفردوسية وكيف تكون! وهذا بسبب الحجاب المُسدَل على قلوبنا والذي جعلها عمياء!

يبكي البعض إذا لم يحصد المركز الأول في السباق ويعتذر من جمهوره إذا حصل على المدالية الفضية. فالإنسان يفرح إذا بلغ الحد الأعلى! ولذا ينبغي في المدارس حث التلاميذ باستمرار على ممارسة ألعاب السباق. بالطبع لا ينبغي المبالغة في تشجيع الفائز كي لا يُهَمَّش أصل السباق. وإذا قنعَت الأمّهات بالحد الأدنى فسينشئنَ أولادهنّ في الحد الأدنى، وأولاد كهؤلاء سوف لا يبلغون أبداً مرحلةً يسألون فيها رحمة الله.

من الطرق المهمة للغاية لبلوغ هذا المقام هو التفكّر. يقول تعالى في محكم كتابه لنبيه(ص): «قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدي خَزائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ» دونما إذن من الله تعالى وبشكل مستقلّ عنه سبحانه. ميزتي الوحيدة هي: «إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ». ثم يقول: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ» (الأنعام/50). أي لا تسعوا وراء هذه الظواهر، فمن أجل أن تدركوا ببصيرة أنني نبيّ: «أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ»؟!

ويخاطب الله تعالى نبيه الكريم(ص): «وَلا تَطْرُدِ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» (الأنعام/52)، ويريدون وجهه يعني يطلبون رحمة الله وعنايته. يوم القيامة فقط سندرك هذه الآية، وسنفهم أن إعراض الله عن الإنسان هناك هو أسوأ من عذاب جهنم!

فالذنب هو وليد التكبّر. فإذا تجلّى التكبر بسبب المعصية ضربَت جذورُه في كيان الإنسان أكثر. وإنّ طلب المغفرة من الله واسترحامه ـ من ناحية أخرى ـ يتطلّبان من الإنسان تواضعاً. لهذا فمن الواضح أن الذي رسّخَ التكبّرَ في نفسه بسبب المعاصي لا يستطيع أن يسأل الله رحمتَه ومغفرتَه.

يقول تعالى: «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ»، أي أوجب على نفسه أيها المؤمنون «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (الأنعام/54). أي طمئن المؤمنين أن لو أذنب أي منكم جراء جهله وغفلته ثم تاب منه وأصلح ذاته، فإن الله غفور رحيم. ويريد الله عز وجل هنا من خلال الطمأنة برحمته أن يحث المؤمنين على التوجّه إلى هذه الرحمة. فالقلب المستعد سيدخل وادي الرحمة بمجرّد تنبيه خفيف.

لم يأت الدين ليجعل الإنسان سليم الطوِيّة فحسب، بل جاء ينمّيه ويرفعه.

من الموضوعات التي علينا أن نبلغ فيها مبلغاً من النمو والنضج هي أن نرى أنفسنا محتاجين إلى رحمة الله متعلقين بها.

#علي_رضا_بناهيان

يصل الإنسان في كل مرحلة من مسيرة حياته إلى درجة من النضج يفهم فيها ما لم يكن قد فهمه في الماضي. ونحن نتوقع من الدين أن يعمل على إنماء الإنسان وإنضاجه، فهو لم ينزل لمجرد المحافظة على سلامة طويّته. فأن ندرك لتوّنا، ونحن في ستينات العمر، كلاماً لم ندركه من قبل فمعناه أن الدين لم يترك فينا أثراً عميقاً، إذ من الطبيعي أن يسعى الناس إلى دفع الأضرار عنهم واستجلاب بعض المنافع إليهم.

من الموضوعات التي علينا أن نبلغ فيها مبلغاً من النمو والنضج هي أن يرى الإنسان نفسه محتاجاً إلى رحمة الله متعلقاً بها. لقد كان إمامنا الراحل(ره)، ولاسيما في سِنِيّه الأخيرة، ينتحب في صلاة الليل انتحاباً حتى وضعوا له، لتجفيف دموعه، منشفة بدلاً عن المناديل الورقية! وإنّ أحد أسباب هذه الدموع استدرار رحمة الله وعطفه.

كان أهل البيت(ع) يحبون أهل "الحد الأعلى" من الدين ويحوطونهم برعاية مميّزة. فقد يسلخ البعض دهراً من عمره يبكي خوفاً من النار وطمعاً في الجنة غير أنّ همّه الأساسي هو قوله تعالى: «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»، أي اهتمام الله ورحمته به.

عن أبي عبد الله عن أبيه(ع) قال: «بَكَى أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اشْتَكَى بَصَرَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ أَنْ يَشْفِيَ بَصَرَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي عَنْهُ لَمَشْغُولٌ وَمَا هُوَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي. قَالُوا: وَمَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: الْعَظِيمَتَانِ، الْجَنَّةُ وَالنَّارُ» (الخصال/ ج1/ ص40).

عن الريّان بن الصَّلت قال: «لَمَّا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَعَزَمْتُ عَلَى تَوْدِيعِ الرِّضَا(ع) فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِذَا وَدَّعْتُهُ سَأَلْتُهُ قَمِيصاً مِنْ ثِيَابِ جَسَدِهِ لأُكَفَّنَ بِهِ، وَدَرَاهِمَ مِنْ مَالِهِ أَصُوغُ بِهَا لِبَنَاتِي خَوَاتِيمَ. فَلَمَّا وَدَّعْتُهُ شَغَلَنِي الْبُكَاءُ وَالأَسَفُ عَلَى فِرَاقِهِ عَنْ مَسْأَلَةِ ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ صَاحَ بِي: يَا رَيَّانُ ارْجِعْ. فَرَجَعْتُ، فَقَالَ لِي: أَمَا تُحِبُّ أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ قَمِيصاً مِنْ ثِيَابِ جَسَدِي تُكَفَّنُ فِيهِ إِذَا فَنِيَ أَجَلُكَ؟ أَوَمَا تُحِبُّ أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ دَرَاهِمَ تَصُوغُ بِهَا لِبَنَاتِكَ خَوَاتِيمَ؟ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، قَدْ كَانَ فِي نَفْسِي أَنْ أَسْأَلَكَ ذَلِكَ فَمَنَعَنِي الْغَمُّ بِفِرَاقِكَ. فَرَفَعَ(ع) الْوِسَادَةَ وَأَخْرَجَ قَمِيصاً

فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَرَفَعَ جَانِبَ الْمُصَلَّى فَأَخْرَجَ دَرَاهِمَ فَدَفَعَهَا إِلَيّ» (عيون أخبار الرضا(ع)/ ج2/ ص212).

البعضُ يجعل أهلَ البيت(ع) يتعوّدون عليه! أمثال هؤلاء يستدرّون ودّ مولاهم ورحمته.

في الخبر عن أمير المؤمنين(ع) أن خوف شيعتنا نابع من محبتهم لله، فهم يخشون أن يُغضبوه: «..لَيْسَ خَوْفُهُمْ خَوْفَ شَكٍّ وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَكُونُوا مُقَصِّرِينَ فِي طَاعَتِنَا وَمَحَبَّتِنَا وَوَلايَتِنَا» (تأويل الآيات الظاهرة/ ص351-352).

#علي_رضا_بناهيان

نسأل الله بحق الرضا(ع) أن يرفع عنا توافه الهموم والاضطرار ويجعل همَّنا واضطرارنا إلى "عطف المولى"، فلا نتعلق ببضع حوائج تافهة فتسخّر لسلطانها أرواحَنا وتمنعنا من النظر إلى المعالي.

إذا وفَدتَ على مشهد الرضا(ع) فقل له: "سيدي، إنني لأفرح أشد الفرح بمجيئي إلى مقامك، فأرني أنت ذرّةً من فرحِك بي كي أذوق لذّة الحضور عندك.." وستُدمن، بمرور الوقت، على ذلك ويصبح تمام سرور قلبك رهناً بنشوة نظرتِه إليك! أتدري ما سيحصل بعد ذلك؟ سيأتيك سيّدُك(ع) بنفسه إن لم تذهب إليه يوماً!

في الخبَر أن رجلاً كَانَ يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ(ص) حُبّاً شَدِيداً. كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ فِي حَاجَتِهِ لَمْ يَمْضِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ(ص).. حَتَّى إِذَا كَانَتْ ذَاتُ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فَتَطَاوَلَ لَهُ رَسُولُ اللهِ(ص) [قام وطوّل قامتَه] حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ مَضَى فِي حَاجَتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ رَجَعَ. فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ(ص) قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ.. فَقَالَ: مَا لَكَ فَعَلْتَ الْيَوْمَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: ..غَشِيَ قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِكَ حَتَّى مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْضِيَ فِي حَاجَتِي حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْكَ.. ثُمَّ مَكَثَ رَسُولُ اللهِ(ص) أَيَّاماً لا يَرَاهُ، فَلَمَّا فَقَدَهُ سَأَلَ(ص) عَنْه..» (الكافي/ ج8/ ص77-78).

أيأتي، يا ترى، ذلك اليوم الذي يسأل فيه صاحبُ الزمان(عج) عنّا؟ كم هو مظلم قلب الإنسان الذي لا يودّ رؤية أولياء الله! إنّ البعض ليجعل أهلَ البيت(ع) يتعوّدون عليه! وأمثال هؤلاء يستدرّون ودَّ مولاهم ورحمتَه. هذه هي روح السباق! وما جاء الدين إلا لأجل هذا! فليجمع الناس الأموال وليسافروا أيام العُطل إلى هذه البلاد أو تلك ليستمتعوا، أما أنت فارفع مستوى متعتك وعش مثل تلك اللذّات!

ليالي شهر رمضان المبارك هي ليالي صاحب العصر والزمان(عج). يابن الحسن، إنك سلوة قلوبنا. لم نستطع، سيدي، أن نجعلك تتعوّد على رؤيتَنا، فاجعلْنا أنت نتعوّد على رؤيتك. مُرَّ علينا بضع مرّات ودعنا نتولّع بك. فالإنسان إذا لم يُحبّ فإنّه سيغادر الدنيا متحسّراً! فمن هو العاشق يا ترى؟ العشق هو أن تطلب نظرة مولاكَ الرحيمة..!

لا بد أن تعيش مع الله كي تعرفه وتلمس رحمته.

#علي_رضا_بناهيان

إن لنا إلهاً في منتهى العظمة، وإن رحمته، مثل عظمته، لا نهاية لها، ونحن بحاجة إلى رحمته اللامتناهية. فإن لم يرَ إنسانٌ هذه الحاجة في نفسه فإنه لم يعرف بعدُ ميولَه الفطرية ولم تتفتّح بعدُ فطرتُه. فعدم التفات الإنسان إلى حاجته إلى رحمة الله أو إنكاره لهذه الحاجة يرجع إلى "فقدانه الأمل لبلوغ هذا المستوى المطلوب من الرحمة"!

يزعم بعض الآباء والأمهات أنه "لا ينبغي المغالاة في إظهار المحبّة للطفل تجنّباً لإفساده ولكي ينشأ صلباً قويّاً!" لكننا نشاهد في أدعية أولياء الله كم قد اعتادوا على محبة الله، بل وتعلّقوا بها، حتى ليَسَعُنا أن نعبّر بهذا التعبير وهو أنهم صاروا يتغنّجون لربهم! فالإنسان لا يشبع من محبة الله عز وجل، كما أن الله تعالى نفسه لا يبخل على عبده بمحبته.

نفهم من أحوال وسلوك عباد الله الصالحين، الذين يدركون محبة الله ويذوقونها ويستمتعون بها على نحو موصول، كم أن الإنسان بحاجة إلى عطف ربه ومحبته، وأيّ أذىً يلحق به إذا افتقدَها ولو للحظة!

من أهم أسباب حاجتنا الماسّة جدّاً إلى رحمة الله جل وعلا هي فردوسه الباقية. ولو لم نكن نشعر بهذه الحاجة لكنا سئمنا ـ في وقت من الأوقات ـ نعيم الجنة وقلنا لربنا: "كفانا هذا**!**" لكننا ـ إن شاء الله ـ سوف ننعم بالجنة ورضوان الله ورحمته فيها إلى أبد الآبدين دون أن نسأم منها. وهذا يُفصح عن أن علاقة الإنسان برحمة الله علاقة أبدية، ليس فيها شبع، ولا لها نهاية.

من العقبات التي تعوق إدراك أن الله رحيم هو عدم معرفة الله. فنحن لا نعرف الله لأننا لا نعيش معه، ولا نعاشره، ولا نتّجر معه. يقال: إذا أردت معرفة الشخص فرافقه في سفر، وعش معه، واعقد معه صفقات تجارية. وليس العيش مع الله هو أن نذكره أحياناً فقط، بل لا بد من التحدث إليه والمتاجرة معه دوماً.

لا بد أن نعيش مع الله تعالى كي نعرفه ونلمس رحمته. فالله ينهض معنا باستمرار بدور المربّي والمعلّم**!** وإنّ أيّ حدَث يتّفق لنا فهو من تخطيط الله عز وجل، إذ ليس هو بغافل عنا، فهو يخاطبنا من وراء هذه الأحداث.

يقوم البعض أحياناً بالتفاؤل بالقرآن الكريم أن: "إلهي، كلِّمْنا**!**" والحال أنه عز وجل يكلمنا باستمرار، بكل ما يتّصف به من الرحمة، وما أُوتيَ من العلم والسلطان، وما يتحلّى به من التدبير والحكمة، فهو يخاطبني ـ أنا الضئيل المقدار ـ ويتاجر معي، ثم لا يسأم من ذلك. فالله دوماً معنا: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله» (البقرة/115).

العيش مع الله هو أن تُتاجِر معه، وتفعل شيئاً "لأجله"**!**

التقوى هي أن تحيا مع الله وتكون صالحاً لأجله، أي أن تفعل كل ما تفعل بأمره وفي سبيله.

بالتقوى يدرك الإنسان جميع آثار رحمة ربه.

#علي_رضا_بناهيان

كيف نحيا مع الله؟ تحيا مع الله بأن تقوم ـ مثلاً ـ بفعلٍ من أجله تعالى، أو تنفق مالاً في سبيله، أو تتوسّط لحل نزاع، أو تبذل شيئاً من سمعتك وماء وجهك له..، أو تنتهي عن فعلِ شيءٍ لوجهه عز وجل! فليقلع العاصون عن بعض معاصيهم لأجل الله وليشرعوا ـ بهذا المقدار ـ بالعيش مع الله!

قد يهبك الله عز وجل أموالاً أو إمكانيات فتفهم أن عليك أن تبذلها في سبيله. كان أهل البيت(ع) ذات يوم صياماً فطرق بابَهم ساعة الإفطار سائل. فَهِم كلّ من في الدار الرسالة وناولوا السائل قرص خبزهم، وباتوا ليلتهم تلك دون طعام! «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» (الإنسان/8).

اعقد مع الله صفقة ولو صغيرة وسيأتيك هو بصفقة مُربحة جدّاً؛ مثلاً اعفُ عن أحد، أو اترك شيئاً تحبّه.. تاجر مع الله، وسترى كيف سيكون الله رحيماً بك في مواطن عدّة!

العيش مع الله تعالى يعني أن تفعل شيئاً من أجله، وسيّان إن كان هذا الشيء صغيراً أو كبيراً، يكفي أن يُعجَب الله به، ففي الخبر: «تَصَدَّقْ بِالشَّيْءِ وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُرَادُ بِهِ اللهُ وَإِنْ قَلَّ ـ بَعْدَ أَنْ تَصْدُقَ النِّيَّةُ فِيهِ ـ عَظِيمٌ» (وسائل الشيعة/ ج1/ ص115).

من حيل الله التي يمارسها معك لتفهم كيف "تكون مع الله" هي أنك إذا عطفتَ على أحد لم يجازِك هذا الأخير على عطفك. فيقول لك ربك: "أريد أن تحصل على جزائك مني!" ولا بد أنكم مررتم في حياتكم بهذه التجربة. هذا هو قانون الله. فقد تُظهِرون للبعض المودة فإذا بكم تُجابَهون بنكران الجميل. وما هذه الأمور إلا محاولة من الله تعالى لِلَفت نظر عبده إليه.

التقوى هي أن تحيا مع الله، وأن تكون صالحاً لأجله. التقوى هي "أن تفعل كل ما تفعل لله". التقوى هي أن تأتي بكل ما تأتي به بأمره وفي سبيله. فإن كنت متّقياً، أي إن كنت تعيش مع الله، فسيهبك الله حُسنَ الإدراك للأمور: «إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً» (الأنفال/29)، وعلى رأس حُسن إدراك الإنسان هو إدراكه أن الله رحيم.

وإذا تحلّيت بالتقوى فماذا سيفعل الله أيضاً؟ يقول عز وجل: «وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (الأنفال/29).

بالتقوى يستوعب الإنسان آثار رحمة الله جميعاً. يقول عزّ من قائل: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» (الأعراف/96). فإذا علموا أن الله هو الذي أنزل هذه البركات فسيدركون رحمته سبحانه.

كيف لنا أن نحيا مع الله؟

من أوجه "العيش مع الله" هو أن يشغل الله كلّ فكرك وأحاسيسك.

#علي_رضا_بناهيان

أنْ "نعيش مع الله في بعض الأوقات" هو أن نذكره ونلجأ إليه بين الحين والحين فقط، والحال أن بإمكاننا العيش معه بشكل دائمي! إننا وضعنا الله بين صفحات كتابنا، أو بين طيّات سجادتنا. الواحد منا يتساءل: "ماذا أصنع كي أصلي بحضور القلب؟ إلى متى أقول سبحان الله ولا أفهم شيئاً؟" لكن لِمَ لا تُوجّه هذا السؤال إلى ربك؟ إنّك ستحصل على جواب أفضل!

المناجاة مع الله ليست بالأمر الصعب! قل له: "إلهي، أمير المؤمنين(ع) كان يقف على بابك، وها أنا أراك سمحتَ لي بالوقوف على بابك، فكم أنت لطيف!" هذه مناجاة. أمّا نحن فقد اشترطنا على أنفسنا أن لا نناجي الله حتى نصبح عارفين به!

يقول رب العزة في الحديث القدسي: «أَيُّمَا عَبْدٍ اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِهِ فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكَ بِذِكْرِي تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَه» (عدة الداعي/ ص249). عبدٌ كهذا يدرك كم أن الله رحيم.

ويقول سبحانه أيضاً في حديث قدسي آخر: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِنَّهُ لَيَتَنَفَّلُ لِي (يأتي بالنوافل من أجلي، وهذه هي المتاجرة مع الله والعيش معه) حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا» (المؤمن/

ص32)، أي يكون كأمير المؤمنين(ع) حيث كان عين الله، ويد الله. ومن المعلوم أنّ شخصاً كهذا يدرك كم أن الله رحيم.

من أوجه "العيش مع الله" هو أن تكون ذاكراً لله ومشغول الفكر به. "فالعيش مع الله" يكون أحياناً بأن تذكُره وأن يشغل كلّ فكرك وأحاسيسك.

لكن ماذا لو ذكَرْنا الله فلم يأخذنا الشوقُ إليه ولم ندرك كم هو رحيم؟ يقول إمامنا الرضا(ع): «مَنْ ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى وَلَمْ يَشْتَقْ إِلَى لِقَائِهِ فَقَدِ اسْتَهَزَأَ بِنَفْسِه» (مجموعة ورام/ ج2/ ص111). فلا بد أنّ خلَلاً ما في أمر هذا الشخص.

إذا رأيتَ إنساناً تائقاً إلى لقاء الله فاعلم أنه قد تاجر مع الله وأنّ الله قد نظر إليه نظرةَ لطف.

الذي يتمنى الشهادة هو الشخص الذي قد ذاق حلاوة رحمة ربّه ويحبّ الآن أن يمضي إليه.

تاجِر مع الله مرة كي ينشرح صدرك وتُدرك رحمته.

الله يضع في طريقك الأعداء كي ترتمي في أحضانه وتستشعر دفء رأفته.

#علي_رضا_بناهيان

إذا رأيتَ إنساناً مشتاقاً إلى لقاء الله فاعلم أنه قد تاجر مع الله وأن الله قد نظر إليه نظرةَ لطف. تاجِر مع الله مرّة وسينشرح صدرك وتدرك رحمته.

من الأوجه الأخرى "للعيش مع الله" هو التوكل عليه سبحانه. وإنّ الله قد يخيفك أحياناً كي تتوكل عليه: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ» (البقرة/155). فقد يفعل الله بك ما يثير هواجسك ثم

يقول لك: "لا تخف. انظُر إلَيّ! لا تنظر إلى عدوّك، بل انظر إليّ!" وهذا أمير المؤمنين(ع) يقول لابنه محمد بن الحنفيّة ساعةَ الحرب: «أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ» (نهج البلاغة/ الخطبة11).

يمتاز الجهاد من بين سائر الأعمال بميزة خاصة، فهو صعب والإنسان فيه يواجه الموت. المجاهدون في جبهات الدفاع المقدس كانوا يعيشون مع الله، بل ما كان يمكن أن لا يعيشوا معه أصلاً. فالقضية لم تكن مقتصرة على الخوف من الموت فحسب، بل كان عليهم البقاء أحياء لأداء ما عليهم من مسؤولية. حتى أولئك الذين لم يكونوا راغبين في الشهادة منهم فقد كانوا يلاقون الله كثيراً حتى تعلّقوا به شيئاً فشيئاً، وصاروا يتمنّون الشهادة. فما كان الله ليأخذ أحداً إليه حتى يُقنِعه بلقائه ويُلهِب فيه نار الاشتياق إليه.

الذين يتمنون الشهادة هم الذين يودّون الرحيل إلى الله ليكونوا عنده! فهم متيقنون من رحمة ربهم. فهل يخاف الطفل يا ترى إذا لجأ إلى أحضان أمه أو أبيه؟! إنهم يبكون شوقاً إلى ربهم ذلك أنهم قد عايَنوا رحمته ورأفته.

أعلى المقامات ـ كما في الخبر ـ هو التوكل، بل هو أعلى من مقام الرضا أيضاً. فالذي يتوكل على الله تعالى فيفكّ الله له عقدتَه ألا يشعر برحمة ربه؟! إنّ الله ليضع في طريقك الأعداء كي ترتمي في أحضانه وتستشعر دفء رأفته. وإنّ الذي جرّب الأبوّة لَيعلم أيّ حلاوة في أن يرتمي طفله في أحضانه إذا خاف من شخصٍ ما. ولعل هذه رسالة لنا كي نفهم أن الله يحب أن يلوذ به عبدُه فيمارس هو في حقّه ربوبيّته.

التوكل على الله، وذكره، وفِعلُ أمرٍ من أجله، والانتهاءُ عن فعلٍ ابتغاءَ وجه الله؛ كالصفح عن أحد، أو غضّ الطرف عن شيء، أو نسيان غَمٍّ ابتغاءَ مرضاةِ الله، بل كل ما تفعله لأجل الله هو طريق من طرق العيش مع الله! ففي الحديث القدسي يوصي الله عز وجل موسى(ع) أن يسأله حتى ملح طعامه: «يَا مُوسَى، سَلْنِي كُلَّمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى عَلَفَ شَاتِكَ وَمِلْحَ عَجِينِك» (عدة الداعي/ ص134). وما أسهل الحصول على الملح! إذن فمعنى قوله هذا: "إلى هذا الحد عِشْ معي!"

قد يقول قائل: "إلهي، إني لأخشى أن أُسيء الفهم فأظنّ أنك ضجِرٌ من وَحدتِك وترغب كل هذه الرغبة في أن أطرُقَ بابَك!" فيجيب الرب: "عبدي، إذا ناديتَني وقلتَ لي: من لي غيرُك؟ فتخيّل أنت أيضاً أنك عبدي الوحيد!" من العوامل المهمة في صلاح الإنسان وطلاحه "الرفقة والمعيّة".

لكي نتحلّى بأيّ صفة علينا أن نعاشر أهل هذه الصفة.

مخالطة الرّحماء والذين يثقون برحمة الله هي إحدى الطرق لإدراك أن الله رحيم.

إذا عاشرتَ مَن لا رحمة له فستزول منك الرحمة ولا تعود تصدق بأنه يمكن أن يوجد في العالم رحيم.

#علي_رضا_بناهيان

كما أن بعض الأمراض مُعْدٍ يسري من المريض إلى غيره فإن الروح التي يتصف بها الإنسان يمكن أيضاً أن تسري إلى الآخرين. فأخلاق الإنسان السيئة ونظرته السلبية، اللتان تجريان على لسانه، يمكن أن تسمّ الآخرين أيضاً فتعمل على إزالة حسناتهم. ومن هنا فإنه ينبغي التأكيد، في جميع المباحث الأخلاقية والروحانية وفي كل ناحية من نواحي الحياة، على عنصر واحد ألا وهو "التأثّر بالآخرين".

لكي نزيل رذيلة من أنفسنا ينبغي أن لا نخالط أصحاب هذه الذيلة، ولكي نتحلّى بفضيلة فإنّ علينا أن نعاشر أهلها. فمن أجل أن تلتزم بالصلاة مثلاً فعليك ـ مضافاً إلى المطالعة والتفكير والتمرين ـ أن تخالط شخصاً مصلّياً ولا ترافق صديقاً تاركاً للصلاة. بل حتى إننا قد أُوصينا بأن لا نسلّم على تارك الصلاة! فإلى هذا الحد يمكن لشخص كهذا أن يؤثر على الإنسان.

من الممكن ـ خصوصاً فيما يتصل بالمسائل الروحية ـ أن يؤثر الآخرون فينا من دون حتى أن يحدّثونا بكلمة، ومن غير أن نتعامل معهم تعاملاً خاصّاً. فتّشوا عن الإنسان الصالح وخالطوه، فهو حقّاً مؤثّر؛ سواء من الناحية الروحانية، أو الأخلاقية. فمن العوامل المهمة في صلاح الإنسان وطلاحه هي هذه "الرفقة والمعيّة" بالذات.

ماذا نصنع كي ندرك بأنّ الله رحيم، ونصدق بذلك، ونلتفت إليه، ونصيب منه حظّاً؟ إحدى الطرق المؤدية إلى ذلك هي مخالطة الرحماء والذين يثقون برحمة الله عز وجل.

إذا عاشرتَ مَن لا رحمة له فستزول منك الرحمة، والأدهى أنك لا تعود تصدّق بأنه يمكن أن يوجد في العالم رحيم. أمّا إذا خالطتَ الرّحماء فستتحسّن حالُك، أوّلاً، وستصدّق بأنه ثمة في العالم شخص رحيم، فتفتّش عنه، ولا تعيش حياتك آيساً من الرحمة، ثانياً.

ما من إنسان سيحب اللهَ ببساطة عبر المباحث الكلامية والعقائدية، بل لا بد أن يصدق بأن الله رحيم ليحبّه.

أصل العقيدة الصحيحة هو أن يرتفع منسوب الاعتقاد برحمة الله.

إذا لم ترَ رحيماً فكيف تريد أن تصدق بأن الله رحيم؟!

اتصافُك بالرحمة مؤثّر في إدخال الآخرين إلى حيّز التديُّن. بالِغ في رحمة الآخرين حتى ترتفع نسبة ثقتهم برحمة الله.

#علي_رضا_بناهيان

إذا لم ترَ في حياتك شخصاً رحيماً فكيف تريد التصديق بأن الله رحيم؟ إنه أمر صعب للغاية. ليت الآباء والأمهات جميعاً قدوةٌ في هذا المجال ليكون كلّ امرئ قد لمس الرحمة في حقه من أبويه، على أقل تقدير. فإنّه ما لم ترَ رحيماً عن كثَب فلا يمكنك أن تصدّق، أساساً، بأنّ هناك إنساناً رحيماً كهذا!

لا بد للإنسان أن يشاهد شخصاً رحيماً عن كثب. أن يفتّش عن مثل هذا الشخص، ويرى رحمته. أحد أسباب عدم إيمان البعض بالأئمة المعصومين(ع) هو عدم مشاهدتهم رجلاً صالحاً عن قُرب. فبمشاهدتنا للصالحين نتعرّف على صلاح أولياء الله تعالى. ولقد فعل الإمام الخميني(ره) بشخصيته الفذّة ما زاد من معرفة الناس بأئمتنا الأطهار(ع). فمتى كان لمجالس

أهل البيت(ع) مثل كل هذه الأُبّهة قبل انتصار الثورة؟! ومتى كانت زيارة الإمام الرضا(ع) وزيارة مسجد جمكران بكل هذا الاكتظاظ؟! ومتى كانت مراسم الاعتكاف تحظى بكل هذا الإقبال؟!

حاوِل جاهداً أن تنخرط في عِداد هؤلاء الرُّحماء وأن تبالغ في رحمة الآخرين كي ترتفع نسبة ثقتهم برحمة الله. قم، في أحيانٍ ما، بالصفح عن الآخرين صفحاً يجعلهم يقولون: "إذا كان عبد الله يصفح كل هذا الصفح فما بالُك بالله نفسه!"

اتّصافُك بالرحمة مؤثّر في إدخال الآخرين إلى حيّز التديُّن، فإنك إن رحمتَ الآخرين ساعدتَهم ـ في الحقيقة ـ في معرفة عقائد دينهم. دع غير المتديّن يقول فيك: "كم هو شهم! كم هو رحيم! كم هو عَفُوّ!" هذه دروس في العقائد. أصل العقيدة الصحيحة هو أن يرتفع منسوب الاعتقاد برحمة الله. فلتكن "خليفة الله" في أرضه. فلتكن الممثّل عن الله في رحمته.

لا يؤمن أحدٌ بالله بحضوره دروس أصول العقائد، بل إنه سيصمت فقط! ما من إنسان سيحبّ اللهَ ببساطة عبر المباحث الكلامية والعقائدية! إذن فكيف يتحوّل الناس إلى محبّين لله؟ إنّه عبر تصديقهم بأنّ الله رحيم. فإنّ ممّا يحول دون إدراكهم بأن الله رحيم هو أنهم لم يشاهدوا في حياتهم "رحيماً"! فهذه العلاقات الإنسانية هي التي تدعو الناس إلى الإيمان بوجود الحبّ والرحمة، ألا وإنّ هذه الرحمة من الدين.

نسأل الله أن نتعلم يوماً "العيش برحمة" وأن يرحم كلٌّ منّا الآخر. فالرحمة شعار لكنّه قابل للتطبيق. فحينما يأتي وليّ الله الأعظم ويحكم الأرض كلها بسلطانه المطلق سيصبح جميع الناس رحماء فيما بينهم. وحتى في زماننا هذا، فإنّنا إذا اعتقدنا بالسلطة المطلقة للوليّ الفقيه، ووفّرنا الأرضية لمثل هذه السلطة، ولم نقع في فخ المساجلات والمناوشات فسيكون لفعلنا هذا أثر إلى حد كبير.

من العقبات التي تحول دون إدراكنا لرحمة الله هي أنّنا لم نرَ "إنساناً رحيماً" ولا نملك "نظاماً رحيماً".

في "النظام الرحيم" يتم اللجوء إلى العلاقات الإنسانية، والمحبّة، والرحمة أكثر من اللجوء إلى القانون.

عندما نضع "القانون" بدلاً من الرحمة والأواصر الإنسانية نكون قد أشعنا القسوة وعدم الرحمة.

#علي_رضا_بناهيان

من العقبات التي تحول دون إدراكنا لرحمة الله هي أننا لم نرَ "إنساناً رحيماً" ولا نملك "نظاماً رحيما". النظام الرحيم يتبنّى العلاقات الإنسانية بدلاً من القانون. النظام الرحيم يلجأ إلى المحبّة والرحمة وإلى إخجال الآخرين عوضاً عن القانون. ولا بد من الدفاع عن نظام كهذا.

بعض الأنظمة والبُنى التي وضعناها لأنفسنا لا تنفع لإشاعة الرحمة، ذلك لأن الكثير من هذه البُنى يعمل على خفض نسبة الرحمة. أتظنّون أن البشرية إذا عاشت بعد الظهور تحت ظل إمام رؤوف رحيم فإنّها ستحتاج إلى مثل هذه الأنظمة والقوانين التي لا تنمّ عن رحمة؟! كلا، ذلك أنّه سيكون للبشرية سيّد، سيّد يحرص عليهم كما يحرص الأب على أطفاله فرداً فرداً!

حينما يظهر صاحب العصر والزمان(عج) تتبدل بُنى المجتمع الى بنى قائمة على الرحمة. والأنظمة التي سيأتي بها ستكون أكثر كفاءة من الأنظمة الحالية ذات الحد الأدنى التي تسير وفق القانون والتعليمات والرقابة، فالأنظمة الحالية تشكو آلاف العيوب.

نستطيع نحن أيضاً أن نُنشئ، في مجالات أضيق، بُنى وأنظمة رحيمة؛ كأن نُنشئ في مدرسة نظاماً مُفعماً بالرحمة تكون فيه العلاقات الإنسانية أنجع أثراً من القانون في الحدّ من التصرّفات الخاطئة حتّى ليقول الفرد في ظل هذا النظام: "لقد كانت معاملة فلانٍ لي من اللطف حتّى أنّ نفسي لا تطاوعني أبداً في أن أقصّر في عملي أو أتغيّب عن دوامي".

القانون محترم وضروريّ جدّاً غير أن الإكثار من القوانين يُفسد أحوال الناس، والحياة، والعلاقات الإنسانية. فإنك حينما تلغي الرحمة والأواصر الإنسانية وتضع بدلاً منها القانون فما الذي سيحصل؟ سيقول القائل تبريراً لقسوته: "من حقّي أن أفعل ما فعلت!" فحين نضع القانون محل الرحمة فإننا ـ في الواقع ـ نروّج للقسوة.

اللجوء إلى القانون لتنظيم تصرّفات الناس سيّئ في كثير من الأحيان. فالقاعدة في أغلب الأوقات هي أنّ "جميع الناس سُرّاق!" هكذا يحاولون منع السرقة والاستغلال. لكن ليس من الضروري وضع القانون والتعليمات في كل مكان، فهل في كل مكان يتعيّن الإمساك باللص؟! وهل الثقة وحسن الظن، يا ترى، معدومان في كل مكان؟!

قدر المستطاع لا ينبغي لعملية تنظيم حياة بني البشر أن يُسلَّم زمامُها ـ قانونياً ـ لجماعة أخرى، فهذا يمهّد للفساد.

لا بد للأطفال في المدارس أن يمارسوا "النظام الرحيم" ويجرّبوا "المعلّم الرحيم"، ولا تنافي بين هذا النظام وبين "الحزم".

#علي_رضا_بناهيان

صحيح أننا إذا أعمَلنا "النظام الرحيم" وتعاطينا مع الجميع "بثقة وحسن ظن" فمن الطبيعي أن يستغلّ البعض هذه الثغرة. هنا يتعيّن الحيلولة دون استغلال الأفراد السيئين لهذه الثغرة وذلك من خلال "حَميّة الجماعة" منعاً لتقوُّض هذا النظام الرحيم؛ أي من خلال اهتمام الجماعة بحفظ هذا النظام، شريطة أن يكون عدد الرحماء وثقافتهم في النظام المذكور هما الغالبان.

لا بد للأطفال في المدارس أن يمارسوا "النظام الرحيم" ويجرّبوا "المعلّمين الرحماء". وهذا النظام لا يتنافى مع "الحزم"، لكنه يحتاج تفنُّناً. فليس في معرفة القانون ولا في سَنّ القوانين واحترامها من تفنّنٍ كبير؛ كتشريعك، مثلاً، قانوناً يقول: "الذي يتجاوز الخط الفلاني يُغرَّم بغرامة مقدارها كذا"، أما إذا عزمتَ على إدارة مدرسة أو مجموعة بشرية من خلال "العلاقات الإنسانية" بدلاً عن القانون، فهذا بحاجة إلى تفنّن كبير.

إننا أحياناً، ومن خلال سَنّ قوانين إضافية، نُنتج موظّفين فاسدين. قدر المستطاع لا ينبغي لعملية تنظيم حياة بني البشر أن يُسلَّم زمامُها ـ قانونياً ـ لجماعة أخرى، فهذا من شأنه أن يمهّد للفساد. والسؤال هنا: كيف نسيطر على الناس إذن؟ نسيطر عليهم بالرحمة، والعلاقات الإنسانية، والحياء، والثقة، وحُسن الظن! ومن أجل ذلك لا بد لمجاميع صغيرة أن تكون لها سلطة ثم تعمل على بلورة هذه الأنظمة في داخلها.

أكثر ما يُحتاج إلى القانون هو لتنظيم تصرّفات الناس في بلد كبير لا يَعرف أفراده بعضَهم الآخر، أما في البيئات الضيقة كالمدرسة والمصنع، التي لا تضم أكثر من 200 فرد مثلاً يَعرف كلٌّ منهم الآخر، فإن بإمكانهم أن يعيشوا معاً حياةً أجمل بكثير تقوم على أساس الإنسانية والمودّة. وإذ ذاك سيُفسح المجال لرحمة الناس وستتسامى هذه الرحمة.

لا يُحتاج إلى القانون إلا في حالات نادرة، فهو بمثابة هيكل البناء الحديدي الذي يحفظ البناء من الانهيار أثناء الزلازل. إذن القانون ضروري من دون ريب، غير أنه لا ينطوي على الجمال الموجود في الإيثار، والمحبة، والأخلاق، والعاطفة، والرحمة.

وهنا سؤال: كيف سيُتصرَّف مع مَن يستغل الرحمة والرأفة استغلالاً سيّئاً؟ استغلال الرحمة في حدود ضيقة لا بأس به! فلقد استغلّ الكثيرون رحمة ورأفة أولياء الله تعالى. لكن حاول أن لا تكون ممّن يسيئون استغلال رحمة أولياء الله، أو رحمة الرُّحماء.

لكي يُثبت الله عز وجل محبّته لنا أرسلَ إلينا رسوله الرؤوف الرحيم.

إذا لم تدرك رحمة رسول الله(ص)، وهو الإنسان، فكيف تريد إدراك رحمة الإله غير المرئي؟!

إذا لم ندرك رحمة أئمتنا(ع) لن نُدرك الإمامة!

#علي_رضا_بناهيان

من العقبات أمام إدراك رحمة الله هو عدم معرفة أولياء الله. فالتصديق برحمة أولياء الله يمهّد للتصديق برحمة الله تعالى. ولكي يُثبت الله عز وجل لنا محبّته فقد أرسل إلينا رسولاً رؤوفاً رحيماً. ولمّا كان في مقدورنا أن نعرف الأنبياء، وندنو منهم، ونتكلم معهم فمن الأسهل علينا

إدراك رحمتهم بنا ومحبّتهم لنا. هذا ونحن نعلم كم هم يقاسون من المشاقّ والمِحَن من أجل هدايتنا.

تأمّلوا في أنه لأجل ماذا ـ أساساً ـ بُعث رسول الله(ص) بالنبوة؟ لأيّ شيء تحمّل هذه المسؤولية؟ ولأيّ سبب جاء بهذه الرسالة؟ لقد قام بكل هذا على خلفية رحمته بالناس ولطفه بهم! وهذا شأن أئمّة الهدى(ع) أيضاً. فإن لم ندرك رحمة ورأفة أئمتنا(ع) لن ندرك إمامتهم!

لأي شيء خلقَنا الله عز وجل؟ لقد خلقَنا لِلطفه ورحمته بنا. فنظر ليرى أيّ الخلائق أشدّ رحمة من غيره، فجعله نبيّاً! هذا هو الأساس، الأساس هو رحمة ورأفة أولياء الله. فلقد حظي رسول الله(ص) بهذا المنصب لأجل قلبه الرؤوف الرحيم، حيث إنه "رحمة للعالمين".

هذا الرسول هو رسول محبة الله ورحمته. هو الذي قال فيه تعالى: «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» (التوبة/128)، أي يصعب عليه أن تتأذّوا، لا يستطيع تحمّل ذلك! انظروا كم هو مُحبّ لكم. لاحظوا كم هو رحيم! بهذه الطريقة يُبرز الله تعالى محبته لنا. فإن لم تستطع إدراك رحمة إنسان، أوَتريد أن تدرك رحمة إلهٍ لم ترَه؟!

ثم إنّ الله جلّ وعلا يقول لرسوله(ص): «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ الله» (التوبة/129)، أي إذا تركوك فلا تلعنهم، بل قل: ألله يكفيني. وفي الخبر أنه لما عادت سيدتنا فاطمة الزهراء(س) من مسجد النبي(ص) وشكَت لأمير المؤمنين(ع) ما رأته من خيانة القوم قال لها الإمام علي(ع) مضمون هذه الآية ذاتها: «فَاحْتَسِبِي اللهَ» (عوالم العلوم والمعارف والأحوال/ ج11/ ص744). ولعل من مداليل قول الله تعالى لرسوله(ص) «فَقُلْ حَسْبِيَ الله» هو: "يا نبيّي، حتى إذا كسَروا ضلع زهرائك، فقل: حسبيَ الله"!

عن أبي عبد الله الصادق(ع) مخاطباً شيعته: «وَاللهِ لأَنَا أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُم» (بصائر الدرجات/ ج1/ ص265).

#علي_رضا_بناهيان

ويقول تعالى في موضع آخر مخاطباً نبيّه الكريم(ص): «فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَديثِ أَسَفاً» (الكهف/6)، أي إنك تُهلِك نفسَك من شدة الغم والأسف لأنهم لم يؤمنوا بهذا القرآن! انظروا إلى ما يحمله رسول الله(ص) من الرحمة. لكننا لا نستفيد من هذه الرحمة استفادة أكبر؟! وهذا شأن صاحب الزمان(عج) أيضاً؛ فهو لا يعاملنا بسوء مع أن قلبه ينزف دماً جرّاء أعمالنا! إلهي، وفّق عبادك هؤلاء إلى رؤية مهديّ فاطمة(عج)، ولَمسِ رحمته ورأفته، والاستمتاع بحياتهم بالمعنى الحقيقي للاستمتاع؟!

يقول الإمام الرضا(ع): «الإِمَامُ الأَنِيسُ الرَّفِيقُ، وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ، وَالأَخُ الشَّقِيقُ، وَالأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ، وَمَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّآدِ، الإِمَامُ أَمِينُ اللهِ» (الكافي/ ج1/ ص200)؛ أي إن الإمام هو الرفيق الذي تأنس به، والأب الذي يشفق عليك، والأخ الذي لا يتركك، والأم الحنون على طفلها الرضيع..الخ. فهذه ألوان من الرحمة والرأفة؛ فرحمة الرفيق تختلف عن رحمة الأب، ورحمة الأم تختلف عن رحمة الأخ، إذ قد يفهمك رفيقك أكثر مما يفهمك والدُك، وقد تشعر بك أمّك أشدّ ممّا يشعر بك أخوك، فكل واحد من هؤلاء قريب إليك من زاوية، أما "الإمام" فيحمل جميع هذه المشاعر تجاهك!

ويقول الإمام الرضا(ع) أيضاً في واحدة من علامات "الإمام" إنه: «أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِم» (من لا يحضره الفقيه/ ج4/ ص418). كما يُقسم الإمام الصادق(ع) مخاطباً شيعته: «وَاللهِ لأَنَا أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُم» (بصائر الدرجات/ ج1/ ص265).

اللذة الناشئة من المحبة والرحمة هي أسمى صنوف اللذة. ولا يرتوي الإنسان حقّاً إلا برحمة الله، ومن ثم رحمة أولياء الله. لكن كيف نصدّق بمحبة أولياء الله؟ وباستطاعتنا ـ هنا ـ أن نتحدث عن الحلول، لكني آمل من الله أن تشهدوا هذه المحبة شهوداً! فهناك من الناس مَن ليس من الشيعة ولا هو يفهم لغتنا لكنّ حاله تنقلب بمجرّد الاستماع إلى عزاء الحسين(ع) أو رثائه؛ ففي مجريات قصة القاسم، مثلاً، وحين يحضن الحسين(ع) القاسم لدى وداعه، يبكي مثل هذا الإنسان بكاءً حتى يقع مغشيّاً عليه من فرط حبّه لهذا الشاب! إذن فالكثير يتأثّرون غاية التأثّر بتصوّر هذه العاطفة الدافقة.

لماذا نحن لا نرغب في أن يغمرنا مثل هذا النمط من المحبة ؟! لماذا نحاول أحياناً استغلال هذه المحبة، قائلين مثلاً: "ما دام إمامنا يحبّنا، فلنسأله بعض المال!" لا بأس، اسأل المال، لكن تمتّع برأفة الإمام نفسها، ونَل لذّتك منها! ولستُ أقول نسجَ خيال، بل هذه هي الحياة الحقيقية. فلا جدوى من الحياة بمعزل عن المحبّة. إذا أحببت أن تدرك رحمة الله فلا بد أن تتمتع بروح إدراك رحمة الآخرين.

جازِ الآخرين على أقلّ رحمةٍ نحوَك. إذا تجاهلت رحمة الآخرين بك فسوف لا تلمس رحمة الله.

#علي_رضا_بناهيان

تعتمد سلوكياتنا وأحوالنا الطيبة، بل وإدراكنا لحسنات الله ورحمته على نمط عيشنا وتصرفاتنا في مختلف نواحي حياتنا. فإذا أحببتُ أن أدرك رحمة الله فلا بد ـ بشكل عام ـ أن أمتلك روح إدراك رحمة الآخرين! وإذا وددتُ أن أشكر الله، فلا يجوز أن أكون عبداً شاكراً لدى اتصالي بالله فحسب، بل لا بد أن أتحلى بهذه الروح في الأوقات الأخرى أيضاً.

إذا رغبتُ في الصلاة في وقتها فيتعيّن عليّ إنجاز جميع أعمالي في أوقاتها أيضاً. وإذا أحببتُ التفكّر في آيات القرآن الكريم فينبغي أن أكون إنساناً متفكّراً عموماً. وإذا وددتُ أن أصلّي بأدب تحتّم عليّ أن أكون مؤدّباً في كل حال. وإذا شئتُ الإقبال على الله في صلاتي وجبَ أن أكون مقبلاً عليه طيلة حياتي. وإنه بمضاعفة الالتفات إلى رحمة الله يكتسب الإنسان نشاطاً روحياً ويستطيع أن يعيش عيشاً مريحاً.

إحدى موانع إدراك رحمة الله هي عدم لمس رحمة الآخرين. فلكي أدرك رحمة الله وأستفيد منها عليّ أن أضاعف التفاتي إلى "الرحمة" ككل وأن يكون لدي الاستعداد لمشاهدة ألوان الرحمة.

علينا ـ حتماً ـ أن نجازي الآخرين على أقل رحمة منهم نحونا. فإن تجاهلنا رحمة الآخرين بنا فلا يسعنا أن نكون من الذين يشعرون برحمة الله! فإن تمتع المرء ـ عموماً ـ بروح الشكر فسيتعامل مع الله من منطلق الشكر أيضاً، وسيدرك كم أن الله رحيم.

إذا أحببت أن يكون ولدك منظّماً في صلاته ويلتزم بالتعليمات، فحدد له مجموعة من التعليمات الأخرى وقل له: "الصلاة واحدة من هذه التعليمات". فالطفل الذي تعوّد أن يتصرف في حياته كما يحلو له سوف لا يطيق الالتزام بالصلاة حين تجب عليه وهي عمل رتيب، قسري، كواحد

من التعليمات. يتساءل البعض: "ماذا أصنع كي يلتزم ولدي بالصلاة؟" والجواب: لا تضغط عليه للصلاة بشكل مباشر، بل أكِّد على الالتزام ببرامج أخرى من قبيل ترتيب الغرفة، وممارسة الرياضة، وتناول الطعام، ..الخ، فإذا سار في أمور أخرى ضمن برنامج فإنه سيلتزم بالصلاة كواحدة من هذه البرامج، أما إذا لم يكن لديه أي برنامج، فسوف لا يقدر على الالتزام ببرنامج الصلاة.

إذا لم يكن المرء من الشاكرين على صغير النعم فسوف لا يقدر على شكر كبيرها.

لا يَعُدّ البعض إلا النعم الكبيرة علامةً على رحمة الله جل وعلا. في حين يتجاهل البعضُ الآخر النعمَ كليّاً، أو يعتبرها نتيجةً لاستحقاقه، وهؤلاء هم المتكبّرون.

#علي_رضا_بناهيان

يقول الله في محكم كتابه العزيز: «وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا»، أي إذا حياكم أحد بتحية أو بادلكم الاحترام فجازوه بأحسن مما حياكم أو بادلكم به، أو على الأقل رُدّوا عليه المقدار ذاته من التحية أو جازوه بما يشبه الهدية التي أهداكم إياها: «إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً» (النساء/86)، أي إن الله يحسب كل شيء.

وعن أبي عبد الله الصادق(ع) قال: «مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: اشْكُرْ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ، فَإِنَّهُ لا زَوَالَ لِلنَّعْمَاءِ إِذَا شُكِرَتْ، وَلا بَقَاءَ لَهَا إِذَا كُفِرَتْ، الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ، وَأَمَانٌ مِنَ الْغِيَرِ[التغيير]» (الكافي/ ج2/ ص94).

وعن الكاظم(ع) أنه قال: «المَعروفُ غُلٌّ لا يَفُكُّهُ إلاّ مُكَافَأةٌ أَوْ شُكْرٌ» (ميزان الحكمة/17865)، أي إن المعروف الذي يصنعه الآخرون لك قيدٌ لا ينفك إلا بمكافأةِ من أسداه إليك أو شكرِه، وهذه إحدى علامات محبوبية الإنسان عند الله؛ فإذا جازيت الآخرين على معروفهم معك بأحسن المجازاة فسيحبك الله. فلا تدع هذا الغل يبقى على رقبتك، فإنه سيجرّك إلى الأسفل.

وعن رسول الله(ص) أنه قال: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ» (نزهة الناظر/27). وفي الخبر عن الرضا(ع) أيضاً: «مَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ فِي الْقَلِيلِ لَمْ يَخَفْهُ فِي الْكَثِيرِ» (عيون أخبار الرضا(ع)/ ج2/ ص180). وهذا يعني: "اهتَمّ بالتفاصيل!" وإن أهل المعرفة يوصون أصحابهم بأنهم إذا اهتموا مدة من الزمن بالتفاصيل فستتغير أخلاقُهم وتتحسن معنوياتهم.

البعض لا يرى إلا نِعم الله العظيمة كعلامة على رحمة الله تعالى! لكن انظروا إلى الإمام الحسين(ع) في دعاء عرفة كم يحصي من أنعُم الله بتفاصيلها ودقائقها! ولو لم أقرأ دعاء عرفة لما طرقَت كل هذه الألطاف الإلهية ذهني أبداً. لقد قضّيتُ عمري كله أنتفع من هذه النعم دون أن ألتفت إلى كل تفاصيلها هذه بالطريقة التي ذكرها الإمام الحسين(ع) وشكَرَها.

ترى البعض يتجاهل الحسنات والنعم كليّاً! ويعُدّها البعض الآخر نتيجة لاستحقاقه. وهؤلاء هم المتكبرون. فإدراكك لرحمة الآخرين بك ورأفتهم معك يُطرّي فؤادك، وإذا طَرِيَ فؤادك تولّد فيك إحساس جميل تجاه ربك، وهذه هي سبيل السلوك الروحاني للأفئدة المستعدة المتيقّظة.

هل على الناس أن يكونوا رُحماء بي إذا عاملتُهم أنا برحمة؟

في الخبر: «أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللهِ وَسِيلَةً الْمُحْسِنُ يُكَفَّرُ إِحْسَانُهُ» (النوادر للراوندي/ ص9).

إذا شكركَ الناس على كل معروف تصنعه فشُكّ في نفسك، إذ لعل أحوالك الروحية ليست على ما يرام!

خذ العِبرة من كفران الآخرين بفضلك لهم فلا تكن كفوراً بفضل الله وأوليائه لك!

#علي_رضا_بناهيان

علينا أن نشاهد رحمة الآخرين بنا. لكن هل على الآخرين أن يشاهدوا رحمتنا بهم أيضاً أم لا؟ وهذا تحدٍّ عظيم يواجهه الجميع في حياتهم، إذ يتساءلون: "حينما أُحسن إلى الآخرين فهل على

الآخرين أن يعاملوني بإحسان أيضاً؟ لكن النبي(ص) في الخبر يقول: «أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللهِ وَسِيلَةً الْمُحْسِنُ يُكَفَّرُ إِحْسَانُهُ» (النوادر للراوندي/ ص9)، أي يُمحى إحسانه ولا يُعرَف قدره.

عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ(ص) مُكَفَّراً لا يُشْكَرُ مَعْرُوفُه» (علل الشرائع/ ج2، ص560)، أي ما كان يجازى على ما يسديه من معروف. كان يتوقع من الناس - على أقل تقدير - أن يودوا أهل بيته(ع): «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (الشورى/23) لكنهم ظلموا أهل بيته أيما ظلم. إلى أن يقول(ع): «وَكَذَلِكَ نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مُكَفَّرُونَ لا يَشْكُرُونَنَا، وَخِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ مُكَفَّرُونَ لا يُشْكَرُ مَعْرُوفُهُم». بل لقد أُوصينا في بعض الأخبار بأن "الناس إذا شكروكَ على كل معروف تصنعه فشُكَّ في نفسك، لعل أحوالك الروحية ليست على ما يرام**!**"

لا ينبغي أن يكف الإنسان عن إسداء المعروف إلى الآخرين إذا لم يشكروا هم معروفه. فإذا كنتم من الذين يخدمون الناس ولا تُشكَر خدمتُهم فهذا درس تفهمون منه أنه "ما أقبح عدم شكر المعروف**!**" فعليك أن تحذر من أن تتصرف بنفس هذا التصرف مع الله وأوليائه وكبراء أرحامك. كما في المثل: ممّن تعلّمتَ الأدب؟ قال: من قليلي الأدب**!**" فإذا لم يشكُر الآخرون معروفَك فقل: "إلهي، ألتمسك العفو على عدم شكري لمعروفك.."

من المهم أن ترحم الآخرين، ولاسيما اثنان من الناس: مَن أخطأ في حقك، ومن لك قدرة على معاقبته. فإذا أخطأ امرؤ في حقك فلا تحطمه بتوبيخك، إذ لو تعامل الله معنا بهذه الطريقة لفنينا**!** قل في ذات نفسك قبل أن ترد على أي أحد آذاك: "إذا كان من حقي أن أشتمه، فإن من حق الله أن يقول فيَّ الكثير**!** وإن كان من حقي أن أحرمه، فمن حق الله أن يحرمني أيضاً**!**" فالله يريدنا أن نتعامل مع من أخطأ أو قصّر في حقنا كما تتعامل الأم مع صغيرها، فنُغضي على سيّئاته.

يتبع... يقول الله في الحديث القدسي: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ» (إرشاد القلوب/ ج1/ ص199).

لقد جعل الله صِلتَه بنا رهناً بصلتنا ببعضنا البعض وهو يتوقع منا أن نصفح عمّن أخطأ في حقّنا.

#علي_رضا_بناهيان

لقد جعل الله صلته بنا رهناً بِصِلَتنا ببعضنا البعض. فنحن ـ في العادة ـ نتصرف كما يحلو لنا مع الله نفسه أما مع بعضنا البعض فشديدون! وفي الخبر ـ على سبيل المثال ـ إذا حسنت أخلاق الزوجين مع بعضهما البعض زاد رزقهما: «مَنْ حَسُنَ بِرُّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ زِيدَ فِي رِزْقِهِ» (الدعوات للراوندي/ ص127). فإذا تشاجر الزوجان قبل أن يتبيّنا ممن الذنب فسيقل رزقهما، بمعنى أن "عدم التوافق" يورث شحة الرزق.

في الخبر عن أحد أصحاب أبي عبد الله الصادق(ع) في حديث دار معه عن قومٍ في إيمانهم ضعف: «..جَرَى ذِكْرُ قَوْمٍ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّا نَبْرَأُ مِنْهُمْ، إِنَّهُمْ لا يَقُولُونَ مَا نَقُولُ!» فاستنكر عليه الإمام(ع) ذلك مبيّناً له أنه: وهل علينا نحن أيضاً أن نتبرّأ منكم بسبب المسافة التي بيننا وبينكم في الإيمان؟ وهل على الله ـ الذي تفصله عنا مسافة ـ أن يتبرّأ منّا أيضاً؟! فلماذا تتبرّأون منهم بسبب الفجوة التي بينكم وبينهم في الإيمان؟! «فَقَالَ(ع): يَتَوَلَّوْنَا وَلا يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ، تَبْرَءُونَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ(ع): فَهُوَ ذَا عِنْدَنَا مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبْرَأَ مِنْكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ(ع): وَهُوَ ذَا عِنْدَ اللهِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا أَفَتَرَاهُ اطَّرَحَنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: لا وَاللهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ. مَا نَفْعَلُ؟ قَالَ(ع): فَتَوَلَّوْهُمْ وَلا تَبَرَّءُوا مِنْهُم» (الكافي/ ج2/ ص43).

العائق أمام إدراكنا لرحمة ربنا هو أننا لا نرى رأفة الآخرين بنا. إذن يجب أن نتحلى بروح الشكر على صغائر رأفة الآخرين ونحاول أن نقابلهم بالمثل. فإذا لمسنا رحمة الله تعالى فسنخرج من عزلتنا، وتتعاظم قدرتُنا، ونبلغ مستوى الإبداع وتَفجُّر الطاقات، ويتحسّن خُلُقنا، ولا نعصي ربنا.

روي عن أمير المؤمنين(ع): «أَنَّ النَّبِيَّ(ص) سَأَلَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ» (إرشاد القلوب/ ج1/ ص199). والتوكل هو أن نُوكِل تدبير أمورنا لله، فنحن إن لم نفعل ذلك فسيسوء خُلُقُنا، وسنتأذّى ونضطرب.

ثم قال رب العزة في الحديث القدسي نفسه: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاطِفِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلا غَايَةٌ وَلا نِهَايَة» (إرشاد القلوب/ ج1/ ص199).

لكن لا بد أن يجعل الله لنا طريقاً أقصر وأسهل لذلك. أتعجزُ عن أن تبادل بالمعروف مَن آذاك ولم يشكرك؟ إذن فوُدَّ مَن يحب الله مودّتهم أيما حب. وُدّ المعصومين الأربعة عشر(ع)؛ وذلك بزيارة مراقدهم، وإقامة مجالس عزائهم، فهم(ع) سيعتبرون هذه المجالس والاجتماعات بمثابة المودة لهم.

نحن في العادة لا نحمل الخوف من الله محمل الجد ونظنّ أن الخوف من عذاب الله يتناقض مع رجاء رحمته.

إحدى أساليب القرآن التربوية هي إخافة عباد الله من عذابه عزّ وجلّ.

الإنسان مخلوق لا بد له من الخوف، بل إن الخوف من الله مفيد للإنسان.

الخوف من غير الله يبعث على الاضطراب ويقسّي القلب أما الخوف من الله فيهدّئ الروع ويطرّي القلب.

الخوف من الله تتبعُه ردّة فعل رؤوفة مباشرة من قِبَل الله تعالى.

#علي_رضا_بناهيان

إحدى العقبات التي تقف أمام الاهتمام برحمة الله والاستفادة الواسعة والعميقة منها هي أننا ـ عادةً ـ نلغي حالة الخوف من الله من حياتنا ولا نحمل الخوف من عذابه تعالى محمل الجد. بل ونظنّ أن الخوف من عذاب الله مناقض لرجاء الإنسان لرحمته عزّ وجلّ وتصديقه من أعماق قلبه بأنه رحيم.

لقد صرّح القرآن الكريم بالخوف من عذاب الله، بل ـ وفوق ذلك ـ "الخوف من مقام الرب"، كقوله تعالى: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» (الرحمن/46)، وهناك نسبة عالية من آيات الذكر الحكيم، تناهز العُشر على أقل تقدير، تتناول هذا الموضوع، ومن الواضح أن أحد أساليب القرآن الكريم التربوية هو إخافة عباد الله من عذابه عزّ وجلّ.

ما الذي يجعل الله سبحانه يتحدث في كتابه عن نار جهنم بكل هذه الكثرة، وبالتفصيل؟ لماذا يصف ناره وعذابها كل هذا الوصف؟ بإمكاننا أن نستنتج من ذلك أن "الإنسان مخلوقٌ يلزمُه الخوف"، وأن نستشفّ من القرآن الكريم ـ فيما يتصل بمعرفة الإنسان ـ أن "الخوف من عذاب الله ومن مقام الرب فيه فائدة للإنسان".

يحتل الخوف مكانة مرموقة في كيان الإنسان، فالخوف مما سوى الله يبعث في المرء حالة الاضطراب، ويبدد سكينته، وهو آيةٌ لضعف الإنسان، ومدعاةٌ لإضعافه، بل وسببٌ في تقسية قلبه. فالإنسان الخوّاف يكون قاسي القلب أيضاً، فلا تنظر إلى جُبنِه! إذ لا أمل في أن يكون الخوّاف رحيماً ولو في بعض الأوقات، وهو إن أُتيح له المجال لبَدرَت منه أشدّ التصرفات قسوةً. فالرحمة تُتوقَّع أكثر من الإنسان الشجاع، لأنه أقرب إلى الصفح والعفو، وإن الرحمة والرأفة أسهل على الشخص القوي.

الخوف مما سوى الله يوهِن الإنسان من ناحية، ويبدّد لطافة روحه من ناحية أخرى، ويسلبه هدوءَه من ناحية ثالثة، ويخفض مستوى دقّته في كثير من الأحيان من ناحية رابعة. فالإنسان الخوّاف ـ عموماً ـ لا يسعه أن يكون مبدعاً وذا قدرة عالية على التركيز.

على قدر ما يكون الخوف مما دون الله قبيحاً ومُفسِداً، فإنّ الخوف من الله هو على العكس، فهو لا يبعث على الاضطراب، ولا يسلب الإنسان قدرته على الإبداع، بل ويضاعف تركيزه أضعافاً، ويُطرّي قلبه، ويجعله لطيف الروح.

الخوف من الله تتبعُه ردّة فعل رؤوفة ومباشرة من قبل الله عزّ وجلّ. فبوسع كل من يحب أن يُشمَل بالمزيد من رحمة الله جلّ وعلا ويلمس هذه الرحمة أكثر أن يُفيد من هذه القاعدة، بل أن يختبر الله عزّ وجلّ! فلتخَفْ، لفترة من الزمن، من الله ومن عذابه وستلمس ملاطفة الله الرحيم والرؤوف لك. وهو أمر مجرَّب وليس بالمعقّد والغامض كثيراً كي يتطلّب الكشفَ والشهودَ وممارسة الرياضات الروحية العنيفة من أجل فهمه.

أتريد أن تختبر الله؟ اخلُق حالة الخوف منه في قلبك ولاحظ ردّة فعله المباشرة!

#علي_رضا_بناهيان

حين يستولي الخوفُ من الله على قلبك سيحدث في روحك تغييرٌ طيّب تدرك معه حضور الله تعالى. فالله عزّ وجلّ لا يستتر مطلقاً وراء ستار الغيب كي لا نحسّ أيَّ شيء منه، فبوسعنا إدراك ردود أفعاله تجاه تصرّفاتنا وأحاسيسنا.

نار جهنم واقعٌ لا خيال، إذن فلتحمل ـ لفترة من الزمن ـ عذابَ جهنّم محمل الجد كي تستشعر الخوف في فؤادك، وسترى كيف سيلين قلبُك، وتجري عبرتُك، ويسكُن روعُك، وتغدو رحيماً بالجميع. كل هذا لأنك بدأت منذ مدة من الزمن تخاف من الله تعالى.

وكأنّ الخوف من الله يجعلك تُخرج الغيبَ من وراء ستار الغيب المطلق لتختبره. فالبعض يحاول اختبار الله بالدعاء، قائلاً: "ندعوه لنرى إن كان سيستجيب دعاءنا أم لا". لكن قد تكون المصلحة في أن لا يستجيب الله دعاءك! فإذا أردتَ اختبار الله فاختبره بالطريقة المنطقية للاختبار، وهي أن "تخلق في قلبك حالة الخوف من الله لتشاهد ردّة فعله المباشرة لذلك!" وهذه واحدة من عجائب عالم الروحانيات!

باستطاعة الإنسان أن يشاهد ثمار الخوف من الله بشكل آنِيّ وذلك في أنّ قلبه سيكتسب طراوة، وما إن يكتسب قلبه هذه الطراوة حتى يحس برحمة الله ويرى فيها الداعم والسند له، وهذا يحصل بشكل طبيعي. فإذا أحب المرء أن يلمس رحمة الله فهذه إحدى الطرق لذلك، ففي الحديث أن الله إنما خلق نار جهنم ليسوق الناس إلى الجنة، وإلى أحضانه عزّ وجلّ، وليوطّد علاقة رحيمة بين الإنسان وربه: «خَلَقَ اللهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوطاً يَسُوقُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ» (المحجة البيضاء/ ج7/ ص262). و«..وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ» (نهج البلاغة/ الحكمة368).

لأي سبب يخيفنا الله تعالى؟ أوّلاً، هذه الإخافة لا تدل على قسوة الله سبحانه، وهذا الخوف ليس من النوع السيّئ والمؤذي، ولا ينبغي أن نفرّ منه. فهو خوف يمنح الإنسان السكينة والهدوء ويُطرّي له قلبه. إنه خوف يتيح للإنسان أن يتصل بعالم الغيب. فليس مرادُهم إلقاءَنا في جهنم،

بل إنهم يقولون لنا: "خافوا من النار. انظروا كم هي مهولة!" فإذا شاهدت هول النار فستُمسِك عن الذنوب من فورك، وتستقرّ مباشرة في أحضان بارئك.

ثانياً، إن الله تعالى يلجأ إلى الإخافة والإنذار كعامل محرّك ورادع في كيان الإنسان. فالمحبة والاشتياق لوحدهما لا يدفعان الإنسان إلى التحرك، بل إنّ للخوف هذا التأثير على الإنسان أيضاً، بل بإمكان الخوف أن يحثّ الإنسان على الحركة أو يوقفه عنها قبل أن تتولد لديه المحبة.

إنّ أمامنا طريق بعيد جداً لكي نصبح من المحبين، فماذا نصنع حتّى ذلك الحين؟ إنّ علينا اللجوء إلى الخوف. فليس في وسع الإنسان أن يحب بسهولة، لكن باستطاعته أن يخاف بكل سهولة، يكفي أن يتأمّل قليلاً. ومن المتعذّر على الإنسان أن يرغب في أرقى مصالحه بكل بساطة، لكن بإمكانه أن يخاف من الخسارة بسهولة، وليس هذا بحاجة إلى نضج كبير!

للخوف "حدٌّ أدنى" و"حدٌّ أعلى" أيضاً، بمعنى أنه حتى ذوي الحد الأعلى من الإيمان يحملون روح الخوف والشعور به. لكن لماذا يخاف أمثال هؤلاء؟ لأن حبّهم، حتى في تلك المراتب العالية، يحملهم على الخوف! فهذا أمير المؤمنين(ع) يصرّح بأن خوف شيعتنا نابع من حبّهم: «وَهُمْ فِي ذَلِكَ خَائِفُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ وَاللهِ خَوْفُهُمْ خَوْفَ شَكٍّ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ إِصَابَةِ الدِّينِ، وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَكُونُوا مُقَصِّرِينَ فِي مَحَبَّتِنَا وَطَاعَتِنَا» (الكافي/ ج8/ ص128).

ليس كمثل "الخوف من الله" في إقناعنا بهويّتنا وهي العبودية.

للخوف من الله أربعة آثار مهمة:

1. تصاحبُه ردة فعل رحيمة من قبل الله تعالى.

2. يفتّت تكبّر الإنسان وقسوة قلبه.

3. يحمل صاحبَه على "الفرار إلى الله" باهتياج.

4. يضع صاحبَه من الله موضعَ العبد من مولاه.

#علي_رضا_بناهيان

الخوف من الله تعالى يتناسب مع الآلية المُودَعة في كيان الإنسان وإنّ له بضعة آثار أو نتائج مهمة للغاية هي:

1. أثره الأول هو أنه يستدرّ استجابة رحيمة من قبل الله عزّ وجلّ تجاه الإنسان. فحين يداخلُك الخوف يبادلُك الله من فوره رحمةً ستلمسها، وتذوقها، وتصدّق بها فتخوض ـ من أجل ذلك ـ تجربة رحيمة مع ربك.

إنك لا تكون أثناء عملية "تهذيب النفس" وحيداً، فهي عملية تقوم بشخصَين: أنت والله تعالى؛ وبعبارة أخرى فهي حالة تبادل متواصل للفعل ورد الفعل بينك وبين الله جل شأنه. لذا يتعيّن على كل مَن يرغب في تنمية إيمانه برحمة ربّه أن يُنَمّي هذا الإيمان من خلال المتاجرة المستمرة معه سبحانه.

2. الأثر الثاني للخوف من الله هو تفتُّت تكبّر الإنسان تلقائياً وانهيار قسوة قلبه. فالإنسان الخائف يكون ـ بالطبع ـ متواضعاً، حقيراً، بل ويرِقّ صوته أيضاً! هل سمعتم صوت آية الله بهجت(ره) أثناء الصلاة؟ لقد كان يصلي وهو في ذروة ضعفه وخوفه من بارئه، وهي حالة تتّضح كل الاتّضاح في صوته أثناء الصلاة.

إذا ما تفتّتَت صخور قلب الإنسان وذهبت قسوته وصار ليّناً فسيُمسي أشدّ إدراكاً لرحمة الله عز وجل، إذ يكون قد تحوّل إلى شيء من جنس هذه الرحمة.

3. الأثر الثالث لخوف الإنسان من الله هو أنه يجعل صاحبه يفرّ إلى الله باهتياج فهو يسوقه إلى الله بإصرار. فالإنسان إذا خاف من ربه فإنه سيتوجّه تلقائيّاً إلى الله نفسه لأنه لا يمكن الفرار منه: «لا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ» (دعاء كميل). ولذا جاء التأكيد في أحاديثنا الشريفة على ضرورة الفرار من الله إلى الله: «وَفِرُّواْ إِلَى اللهِ مِنَ اللهِ» (نهج البلاغة، الخطبة24)؛ أي: لا تذهبوا إليه بشكل عادي، بل فرّوا إليه. فالإنسان إذا خاف فسوف لا يكون ذهابه عاديّاً، بل فراراً. فمَن أراد أن يرتمي بكل ثقله في أحضان ربه وأن يحتضنه الله تعالى فعليه أن يخاف منه. وهل هناك أمٌّ لا تفتح ذراعيها لطفلها وتحتضنه إذا ما خاف من شيء ولجأ إلى حضنها؟!

عن الصادق(ع) إن المؤمن يعيش دوماً بين حالتين من الخوف: خوفه الأول من ذنبٍ سبق أن اقترفَه ولا يدري كيف تعاطى الله معه وما صنع به، وخوفه الثاني من المستقبل، ما الذي سيحدث فيه. فهو لهذا في حالة خوف مستمر ولا يصلح حاله إلا عبر هذا الخوف: «الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللهُ فِيهِ، وَعُمُرٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ، فَهُوَ لا يُصْبِحُ إِلاّ خَائِفاً، وَلا يُصْلِحُهُ إِلاّ الْخَوْفُ» (الكافي/ ج2/ ص71). فالإنسان لا يصبح آدمياً إلا بالخوف! وإنّ من أوجه الآدمية الاستفادة من رحمة الله تعالى، والتغذي منها، والإيمان بها.

استناداً إلى الرواية أعلاه فإن المرتبة الأولى من خوف المؤمن هي خوفه من ماضيه، والمرتبة الثانية هي خوفه من مستقبله. وبالطبع فإن الذي لم يبلغ هذه المرتبة من الخوف فلا بد أن يكون في منتهى العقل كي يخاف من مستقبله ومن أن لا تكون عاقبته على خير.

كيف لنا أن نستدرّ رحمة الله تعالى؟ عليَّ أولاً أن أحدد محلّي من الإعراب بالنسبة إلى الله؛ وهو أنه: ما أنا بالنسبة إليه عز وجل؟ هل أنا من أقرب مقرّبيه؟ هل أنا ابنُه؟ أخوه؟ جارُه؟ كلا، بل إن هويّتنا الأساسية هي أننا "عبيد لله" ونحاول أن نستدرّ رحمتَه من منطلق أنّنا عبيده.

4. الأثر الرابع للخوف من الله هو أنه يضع الإنسان في موضع العبد بالنسبة إلى ربه. فليس كمثل "الخوف من الله" في إقناعنا بهويّتنا وهي العبودية. ومع أن بإمكان "طاعة الله" أيضاً تثبيت الشعور بالعبودية في نفس الإنسان غير أنّ الإحساس الذي يُستشعَر في نفس الإنسان أسرع من الطاعة ويقنعه بكونه عبداً هو الخوف. فقد تصعب الطاعة في أحيان كثيرة أمّا الالتفات إلى عذاب الله والتأمّل فيه فإنه يضعنا موضعَ "العبيد" دفعة واحدة.

لكي تصدّق بأن الله رحيم عليك أن تُقِرّ بكونك "عبداً".

إذا أصبحتَ عبداً فمن الطبيعي أن يحبك المولى.

#علي_رضا_بناهيان

إذا أصبحتَ عبداً فمن الطبيعي أن يحبك المولى ولا يبخل عليك بمحبته. بل إذا صرتَ عبداً فسوف ترفض فكرة أنّ مولاك ليس رؤوفاً رحيماً بك، شأن الطفل الذي لا يمكن أن يقتنع بأن أمه غير رحيمةٍ به.

من هم الذين لا يصدّقون بأن الله رحيم؟ أولئك الذين لم يقيموا مع ربهم علاقة "العبد والمولى" ولم يصدّقوا بأن مولاهم رحيم. يظنّون أن الله خالقٌ وحسب، بل كالمصنع الذي صنع ساعة، مثلاً، ولم تعد له صلة بمصنوعه!

من أجل أن تصدّق بأن الله رحيم عليك أن تُقِرّ بكونه مولىً، ولكي تقتنع بأنه مولى عليك أن تحسب له حساباً، وهذه الحالة وهذا الخوف جزء لا يتجزّأ من هذه العلاقة. فلتخَف، وليأتِ مولاك ليهدّئ من روعك. إننا لسُخفاء للغاية إذ نحاول أن نهدّئ أنفسنا بأنفسنا. فلتدَع الله هو الذي يُدخل الهدوء إلى نفسك.

ما هو تصوّرنا عن الله وفهمُنا له تعالى؟ إذا كان فهمُنا لله بصورة تساعدنا على إدراكنا لرحمته تعالى فسوف لا يتبادر إلى أذهاننا ـ ولو للحظة ـ تصوُّرٌ عنه تعالى غير الرحمة مهما عبسَ في وجوهنا.

إذا أدركتَ رحمة الله تعالى فستهزّك كلُّ آية من آيات القرآن الكريم، وستذوب أمام كل شيء يقوله فيه، من حُكْمٍ، أو أمرٍ، أو نهيٍ، أو توبيخٍ، وتذرف الدمع لرحمته. بل وهل كان مجرّد تكلُّم الله معك بدافعٍ آخر غير المحبة؟! إذن فما الفرق بالنسبة لك أنه عن ماذا يتحدّث؟ فسواء أتحدَّثَ عن العذاب أم عن النعيم؟ لو عكفتَ صباحَ مساء تقول: "الله خالق" دون أن تلتفت إلى رحمانيته فلن يطرأ في قلبك أي تحوّل عظيم.

البعض يطرق باب الله طلباً "للحاجة"، والبعض الآخر يطرقه سؤالاً "للمغفرة"، أما البعض الثالث فيطرقه استجداءً "للرحمة"، فهو يود أن يذوق لذة رحمته تعالى ورأفته، ومرتبة هذا الأخير أعلى.

#علي_رضا_بناهيان

البعض يطرق باب الله طلباً "للحاجة" وهو ـ بلا شك ـ عمل جيد، لكن الأفضل من ذلك هو أن البعض الآخر يطرقها سؤالاً "للمغفرة" فيستقبلهم الله عز وجل بحفاوة أشد ويعاملهم بلطف أعظم. فمن الواضح أنّ مَن يلجأ إلى الله طلباً للمغفرة أعلى مرتبة من الذي لا يتوجه إليه إلا التماساً للحاجة.

وهناك مرتبة أعلى من السابقتَين يودّ الله أن يراها فينا وهي تخصّ أولئك الذين يستجدون "رحمة ربّ العالمين ورأفته" ويتوقون إلى تذوّق لذة هذه الرحمة؛ فإنْ هم ذرفوا الدمع فلأجل ما يدركون من رحمة ربهم، وإنْ هم سألوا المغفرة فبسبب المسافة القليلة التي قد تفصلهم عن هذه الرحمة.

حتى في الجنة ورضوان الله فإن أسمى ما يلتذ به المرء هو "دفء محبة الله" وهذه تحديداً هي النقطة النهائية حيث يبلغ المرء السكينة والطمأنينة. فالمرء إن أدرك شدة محبة الله ورحمته يكون قد ذاق ألذّ لذّات العالم.

المعنى الدقيق لقوله تعالى: «أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد/28) هو أنه بذكر رحمانية الله ورحمته تطمئن القلوب، وإلا فلو عكفتَ صباح مساء تقول: "الله خالق" دون أن تلتفت إلى رحمته ورحمانيّته فلن يطرأ في قلبك أي تحوّل عظيم.

ليس لاسمٍ من أسماء الله تعالى من الأثر في نفس الإنسان إذا التفت إليه واهتم به مثل ما "لرحمانيّته" عزّ وجلّ، ولو أدركنا هذه الحقيقة لاكتشفنا أننا كنا في غفلة طيلة أعمارنا، حتى في اللحظات التي يفترض أننا كنا فيها نناجي الله.

من أسباب رغبة أولياء الله في إظهار ضعفهم بين يدي الله سبحانه وتعالى هي معرفتهم أنه تعالى رحيم وأنه يضاعف رحمته بعبده الواقف على بابه إذا شعر بضعفه.

الإنسان عبدُ الإحسان والرحمة، فإذا صدّقتَ برحمة الله تعالى صرتَ عبده.

إن مصدر الطاقة التي يتمتع بها المؤمن هو العلاقة القلبية التي تربطه مع الله.

الإيمان بالله هو، في الحقيقة، الإيمان برحمة الله، والكفر به هو إنكار رحمانيته.

الإيمان بأن الله خالق ليس بإنجاز، فالمشركون أيضاً كانوا مؤمنين بخالقيّته عزّ وجلّ!

#علي_رضا_بناهيان

غذاء روح الإنسان هو في الأساس "رحمة الله"، فإنّ حياة الإنسان متوقفة ـ أساساً ـ على هذه الرحمة وإنّ غيابها يعني موته. إذا اتصل الإنسان برحمة الله عن قرب فسيتغذّى وستنتعش بها روحه حقّاً. بل إن مصدر الطاقة التي يتمتع بها المؤمن في الأصل هو العلاقة القلبية التي تربطه مع الله. فقد روي عن أمير المؤمنين علي(ع) أنه ما قلَعَ باب خيبر بقوة جسدية بل بقوة روحية: «وَاللهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ وَرَمَيْتُ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ وَلا حَرَكَةٍ غِذَائِيَّةٍ لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئَة» (أمالي الصدوق/ ص514). فيكفي أن تؤمن برحمة الله تعالى وستكون قادراً على زحزحة الجبال من أماكنها بيديك!

لا ينبغي أن نأتي الله الرحيم لنأخذ منه شيئاً ونذهب! بل لنتوجّه إليه التماساً لرحمته التي إنْ نلناها لم نذهب عن بابه. الإنسان عبد الإحسان، وعبد الرأفة والرحمة، فإن صدّقتَ برحمة الله تعالى صرتَ عبده.

هناك بين مراتب الإيمان مرتبة شريفة قلّما تنالها أيدينا ويندر أن نعمل لنيلها وهي "الإيمان برحمة الله". الإيمان بأن الله خالق ليس بإنجاز، فالمشركون أيضاً كانوا مؤمنين بخالقيته عزّ وجلّ! وهذا صريح قوله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله» (الزخرف/87).

الإيمان بالله يعني الإيمان برحمته عزّ وجلّ، وهذا ما يوضّحه الإمام الراحل(ره) وباقي العرفاء في مؤلفاتهم العرفانية بقولهم: "الرحمن يتصدّر أسماء الله تعالى، وإنّ جميع ما يتصل بعباد الله من صفاته تعالى وأسمائه الأخرى فهو يرجع إلى رحمانيّته عزّ وجلّ".

ما معنى الجهل؟ إنه الجهل برحمانية الله تعالى. وما المراد بالكفر؟ إنه إنكار هذه الرحمانية. وما هو أكبر الكبائر؟ إنه اليأس من هذه الرحمانية وسوء الظن برحمة الله سبحانه. ومن أي

المعاصي يكون الاستغفار أوجب؟ إنه الاستغفار من أكبر الكبائر، ألا وهو اليأس من رحمة الله. على أنّ لليأس درجات، وإننا جميعاً ـ مع شديد الأسف ـ نحمل درجة من هذا اليأس (الذي تبلور لدينا جرّاء ما فينا من ألوان الغفلة وما ارتكبناه من أنواع الذنوب).

إذا كان مفهوم الإنسان الأساسي عن الله تعالى "أنه رحيم" فسيكون مفهومَه حتى إذا تلا آيات العذاب "أنها هي الأخرى مَظهَرٌ من مظاهر رحمته عزّ وجلّ".

كيف تشكّل آيات النار والعذاب في القرآن دلالةً على محبة الله ورحمته؟! إنّ مثَلَها كمثَلِ الأمّ حين تصرخ على طفلها إذا رأته يتوجّه نحو الماء المغلي.

#علي_رضا_بناهيان

ما هو مفهومنا الأساسي أو الابتدائي عن الله تعالى؟ المفهوم الأساسي والأصلي الذي يحمله أغلب الناس عن الله تعالى ليس هو رحمانيّة الله ورحيميّته!

إذا كان أول مفهوم يتبادر إلى ذهن الإنسان عن الله تعالى هو "أنه رحيم" فإنه حتى إذا تلا آيات العذاب في القرآن الكريم فسيكون أول مفهوم يتبادر إلى ذهنه عنها هو أنها "مظهر آخر من مظاهر رحمة الله". لكن كيف تشكّل آيات النار والعذاب في القرآن دلالةً على محبّة الله ورحمتِه؟! إنّ مثَلَها كمثَلِ الأمّ حين تصرخ على طفلها إذا رأته يتوجّه نحو الماء المغلي.

إذا كان مفهومنا عن الله جل شأنه "أنه إله رحيم" فستكون علاقتنا "بالله" أمتَن بكثير من علاقتنا بكلمة "الأم". الله في عُرف مجتمعنا هذه الأيام لا يمثل ذلك المَظهَر للرحمة الذي تمثّله الأم، والحال أن الإنسان إذا تأمل قليلاً لوجد أن رحمة الله تزيد مليارات المرات على رحمة الأم، ناهيك عن أن جميع أفعال الله تجاه عباده تنم عن رحمته عز وجل بهم.

إذا كان مفهومُك عن الله تعالى "أنه رحيم" فسوف لا يختلف الأمر عندك مهما اختلف الموضوع الذي يتحدث هو عنه؟ فأيّاً كان الموضوع الذي يتحدث الله عنه فإنك ستذرف الدمع من فرط محبة الله تعالى لك ورأفته بك، لأنّ ربّاً رحيماً يتحدّث إليك، وسترى ـ إذذاك ـ أي منزلة ستكون للقرآن الكريم في نفسك.

إذا أحببتَ أن تحسّ نورانية القرآن الكريم ـ من الناحية النفسية لا الطبيعية ـ فانظر إلى كلمات القرآن الكريم وآياته على أنها مَظهَر لرحمة الله تعالى وأنه عزّ وجلّ إنّما أنزل كتابَه رحمةً بعباده.

يقول إمامنا الخميني(ره) في كتابه "آداب الصلاة": "أعظم رحمات الله قرآنه الكريم. فإذا طمعتَ برحمة "أرحمِ الراحمين" وتمنّيت رحمتَه الواسعة فتعال وانهَل من هذه الرحمة الواسعة."

بالقرآن الكريم يُظهِر الله تعالى رحمتَه. بالطبع يصعُب علينا بعض الشيء أن نفهم أن الله يبادلنا المحبة من خلال القرآن، لكنك إذا أدركتَ ذلك، انتهى الأمر بالنسبة إليك! فعند ذاك ستكون لذّتك القرآن، وأنسُك القرآن، وقوّتك القرآن، ومتعتك القرآن، وحياتك القرآن!

لماذا كان إمامنا الراحل(ره) يتلو القرآن اثنتي عشر مرّة في اليوم؟ لأنّ القرآن مَظهَر رحمة الله وكان رحمَه الله يودّ أن يتلذّذ أكثر بهذه الرحمة، لأنه كان محتاجاً إليها ومتعلّقاً بها.

لا أملَ للبعض في أن يجد إلهاً أرحمَ وأرأفَ من الأم، وهو يظنّ أن لا أحد يحبّه! وإنما من هؤلاء يولَد اللص والقاتل والجاني!

#علي_رضا_بناهيان

فانظر إلى الله نفسه كيف يصف القرآنَ الكريم؟ هل وصَفَ اللهُ قرآنَه الكريم بغير رحمته؟ فهو يقول مثلاً: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (الإسراء/82). نلاحظ أن لفظة "الرحمة" استُعملت في جميع هذه الآيات وصفاً للقرآن، ممّا يعني أن القرآن الكريم هو الرحمة.

لماذا أوصونا بتلاوة القرآن الكريم مع البكاء والدموع؟ لأن الناس إذا لمسوا الرحمة بكوا. بالطبع ما عدا الآيسين من الرحمة منهم! فالبعض لا أمل له في أن يجد إلهاً أرحمَ وأرأفَ به من أمّه، وهو يظنّ أن لا أحد يحبّه! وإنما من هؤلاء يولَد اللص والقاتل والجاني!

نسي أمثال هؤلاء كيف كانوا يلجأون إلى حجور أمّهاتهم كل بضع دقائق حين كانوا صغاراً، وإذا بهم الآن يقولون: "أوَيمكن أن يكون ثمّة إله أحَنّ من أمّنا نرتمي في أحضانه متى شئنا؟!" إنهم على هذه الدرجة من اليأس! فمع أنهم في غاية التعطش إلى جرعة محبة لكنهم يترفّعون عن إظهار ذلك قائلين لأنفسهم: "لا تتدلّل يا هذا فلم تعد صغيراً كي تحتاج إلى كل هذه المحبة والملاطفة!" أمثال هؤلاء يعيشون في خطأ كبير.

بعض هؤلاء، وهم مؤمنون، لا يطرقون باب ربهم إلا إذا أصابهم مكروه فلا يسألونه المحبة والرأفة بل يطلبون منه "رفع ما بهم من مكروه" ويذهبون! ثم ما إن ينالوا حاجتهم حتى يفرّوا فرار القطة إذا حصلَت على حاجتها! يقول الله عز وجل في هؤلاء: "إذا حاصرَتهم أمواج البحر دَعَوني بإخلاص فإذا أبلغتُهُم برّ الأمان راحوا يفتّشون عن غيري ويشركون بي: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (العنكبوت/65).

هل تنقص حاجة الإنسان إلى المحبّة إذا ضَخُم جسمُه وكبر سنُّه وتفاقمَت مشاكله أم انّ عليه أن يغيّر مصدرَ حبّه؟ الإنسان إذا بلغ هذا المبلغ لا تنقص حاجتُه إلى المحبة، بل تزداد. بل إنه إذا لم يكن يدرك حاجته هذه إلى المحبة وهو صغير فهو يدركها الآن عن وعي، فإذا كان مؤمناً فسيزداد حب الله له وسيُنشئه أكثر غُنجاً ودلالاً إلى درجة أنه لا يعود قادراً على التنفّس دون محبة الله وملاطفته له وحنوّه عليه!

مثَلُ الله كمثَل الأم الحنون التي لا تسأم من ملاطفة طفلها. لكنّ الأم مضطرّة لأن تغفو قليلاً أما الله عزّ وجلّ فإنه: «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْم» (البقرة/255). فمتى ما صحوتَ من نومك وجدتَه عندك، بل إن الله لا شُغل له سوى تدبير شؤون عباده.

لماذا تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» كلّما همَمتَ بالقيام بأي عمل؟ لأن أي حركة تقوم بها هي ـ في الحقيقة ـ متاجرة مع الله عزّ وجلّ. فإنك لدى كل عمل تريد القيام به تودّ إبلاغ الله رسالةً مفادها: "إلهي الرحيم، أنا الآن على وشك القيام بعمل كذا".

الإيمان برحمانية الله جزءٌ من الإيمان، وإذا لم نقوّم هذا الجزء فسيطرأ خلل على باقي أجزاء إيماننا. فإذا لم تؤمن بأن الله رحيم فكيف تريد أن تحبه وهو لا يحبك؟! وكيف تريد أن تخاف من النار؟!

فالشخص الذي ليس له داعم من الرحمة ولا سند من المحبة والمفتقِد للتوازن الروحي اللازم والفكر العميق كيف تريده أن يخاف من النار؟ إنه سيعود وينسى مهما حاول.

لعل أهم أسباب عدم قبول أعمالنا هي أننا نطيع الله ونعبده عن كُره وإجبار.

إذا لم ندرك أن جميع أوامر الله نابعة عن محبته فإننا سنمتثلها ونحن كارهون.

إن الله ليغضب غضباً شديداً إذا لم يكترث عبادُه لرحمته.

#علي_رضا_بناهيان

لماذا نرى أن عباداتنا في الكثير من الأحيان لا تعطي النتائج المرجوة منها ولا تمنحنا تلك الروحانية والقربة المنتظَرة منها؟السبب ـ في الغالب ـ هو أن هذه العبادات لا تقع موقع القبول من الله عزّ وجل. لكن لماذا يتشدد الله تعالى هكذا في قبول العمل؟

لعل أهم أسباب عدم قبول أعمالنا وفقدانها للأثر المرجُوّ منها هو أننا لا نعبد الله من منطلقات صحيحة وأننا نطيعه على مضض وإكراه، والله يستاء من حالة كُرهنا هذه فيخاطبنا: **"علاقتي معك يا هذا تقوم على المحبة فلماذا تعاملني أنت بهذه الطريقة؟!"**

يقول ربّ العزة في سورة محمد(ص) فيما يتصل بالكافرين: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» (محمد(ص)/8و9).

إذا لم تدرك أن جميعم تصرفات الله تعالى وأوامره ناشئة عن محبته فسوف لا تمتثل لها إلا بمشقّة ونفور، بل وقد لا يسمح لنا الله أحياناً أن نعبده**!** لأنّ الذي يعبد الله بتثاقل وكراهية فإنّه سيَمُنُّ عليه ويغتَرّ بنفسه وسيرى لنفسه حقّاً على ربّه فيفسُد. ففي الخبر إن الله تعالى قد لا يوفّق العبد لطاعته خوفاً عليه من أن يُعجَب بنفسه: «إِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَسْأَلُنِي الشَّيْءَ مِنْ

طَاعَتِي فَأَصْرِفُهُ عَنْهُ مَخَافَةَ الإِعْجَاب» (عدة الداعي/ ص237)، فلو بقي على ظنّه بنفسه بأنه مسيء خيرٌ له من أن يُبتلى بالعُجب.

وهذه ليست خاتمة مشاكلنا، فإن الله عزّ وجلّ يستاء ممن لا يكترث برحمته! فمن الطبيعي أن نسعى لمعرفة المسافة التي تفصلنا عن تلقي رحمة ربنا وإدراكها وأن نحاول تقليص هذه المسافة. فلنتوجّه إلى الله نفسه ونسأله شفاء أنفسنا. لنقل له: "إلهي، مشكلتنا هي أننا لم نؤمن برحمتك، هي أننا لا نعرف هذه الرحمة، ولا نهتم بها، ولا نستفيد منها!"

إن الله ليغضب غضباً شديداً إذا رأى عباده غير مكترثين برحمته. فبعض الناس لا هم يتمنّون رحمة ربهم، ولا هم يفرحون بها! إنهم كالأموات! يقول الله تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر/60) وهذا مَظهَر من مظاهر رحمته عزّ وجلّ، لكنه يُتبِع قوله هذا مباشرة وفي الآية ذاتها بالقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين»؛ أي: إن الذين يتكبّرون عن دعائي سأُدخِلُهم إلى جهنم بذلة؛ أي إنه عزّ وجلّ يُطلق على عدم الدعاء اسم "الاستكبار عن العبادة" ويقول: "سأسحب هؤلاء على وجوههم إلى جهنم!"

إلهي، لقد قضّيتُ عمري كلَّه غير آبِهٍ برحمتك، وإن كل هواجسي، واكتئابي، وتعلّقاتي بسواك تعود إلى عدم الاكتراث برحمتك، فأنا غير واثق من أنك رحيم وأنك تأتيني برزقي! أنا أعمل لكي لا أجوع، لا لكي ترضى عني. إذا تشاجرتُ مع الآخرين أو حسدتهم فلأنني غير واثق من رحمتك ورأفتك، وأظن أن الآخرين يأكلون حصتي من الرزق. أفتّش عما يسلّيني من توافه الأمور لأنني لا أحس باللذة من رحمتك. فالذي لا يشعر بأنه ثمّة شخص رحيم يسانده فإنه سيتحوّل إلى إنسان في منتهى السوء. لا بد إذن أنني غير واثق من رحمتك، وإلا لكنتُ صالحاً!

عندما أدرك الغرقُ فرعونَ كان نبي الله موسى(ع) يقف على ضفة النيل وفرعون يستغيث به: "يا موسى.." فلم يُغثه حتى غرق «فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى، لَمْ تُغِثْ فِرْعَوْنَ لأَنَّكَ لَمْ تَخْلُقْهُ، وَلَوِ اسْتَغَاثَ بِي لأَغَثْتُه» (عيون أخبار الرضا/ ج2/ ص78).

السبيل الوحيدة لإدراك الحاجة إلى رحمة الله هي "أن يحبّنا الله".

حين تذوق طعم محبة الله ستكتشف حينذاك فقط كم كنتَ بحاجة إليها.

إلهي، من أجل أن أشعر بالحاجة إلى رحمتك فإنّ الحلّ الأفضل هو أن تبادر أنت الآن إلى محبّتي.

إلهي، حين تحيطني بمحبتك أُصبح آدميّاً، وعندها سوف لا اضطر إلى السير والسلوك لإدراك رحمتك.

#علي_رضا_بناهيان

لماذا علاقتنا مع الله ليست في العادة علاقة تمنّي رحمته تعالى؟ ذلك لأننا ـ أساساً ـ لا نرى أنفسنا محتاجين إلى رحمة الله، بل نرى أننا غير محتاجين سوى للمنافع، الدنيوي منها والأخروي، ولرفع البلايا عنّا، بلايا الدنيا والآخرة، ولنَيل الفوائد، المادّي منها والمعنويّ، ولهذا فلقد ضاعَت ـ في هذه الأجواء ـ علاقتُنا مع الله، ولا بد من اكتشاف أصل هذه العلاقة.

اللافت هو أن الغاية من جميع بلايا الدنيا هي أن نُساق باتّجاه اكتشاف هذه العلاقة. فالله يبيّن لنا عبر هذه البلايا والمشكلات أنْ: "انظُر، إنّه ما من أحد يحبك، سواي أنا بالطبع!" أما نحن فنتوجّه إلى الله مخاطبين إيّاه: "إلهي، لماذا لا يحبّني أحد؟! اجعلني محبوباً لدى إنسانٍ ما!" وبالمناسبة، فإنّ الله قد أخلى المحيط من حولك بطريقةٍ تستشعر معها الوحدةَ، وذلك من أجل أن تتوجّه إليه عزّ وجلّ.

الحكمة من الابتلاءات الدنيوية هي أن يشعر الإنسان بالعُزلة، فإذا شعر بالعزلة تمنّى أن يكون الله معه، وحينذاك فإنه سيرجو رحمتَه، لا أنّه يرجو من الله أن يعينه في هذه العزلة ليجد ما يسلّيه. وكأنّ الله يقول له: "إنّي أعزلُك عن تساليك كي أكون أنا سلوتَك، فلماذا تعود فتطلب منّي شيئاً آخر؟ لماذا تفتّش عن سلوةٍ أخرى؟"

اكتشاف العلاقة مع الله ليس هو الحكمة من وراء الابتلاءات الإلهيّة فحسب، بل هو الحكمة من وراء أوامره عزّ وجلّ أيضاً. فالله يوجّه إليك الأوامر والنواهي، "مثلاً: لا تنغمس في مثل هذه اللذّات، واصبر في مواضع كذا، ..الخ" من أجل أن يعمل باستمرار، بمساعدة هذه الأوامر والنواهي، على جعلِك تملّ الدنيا. فالتكاليف التي يُوجِبها الله علينا وتقديراته عزّ وجلّ تتظافر معاً لتجعلنا "نملّ من الدنيا" و"نتعلّق بالله"، غير أن "التعلّق بالله" لا يحصل في العادة، وفي هذه

الحالة فإنه حتى لو مَلَّ الإنسان من الدنيا فإنّ أقصى ما سيحصل هو أن يتحوّل إلى شخص سيّئ الخُلُق، حادّ المزاج، غير قنوع.

إذا لم يجعل الإنسان المتديّن التعلّقَ بالله محلَّ التعلّق بالدنيا، ولم يخرُج بمساعدة الله من عُزلته، ولم يكن غذاؤه محبّةَ الله ورحمتَه، فسيعيش هو الآخر حياةً باردة وسيكون قلبه قاسياً، لا فرق بينه وبين الآخرين سوى أنه دخل في دائرة التديّن وهو لا يرتكب جُرماً في الوقت الحاضر. لكنّه بهذا النمط من التديّن لن يكون أسوةً لغيره.

ماذا نصنع كي نلمس رحمة الله ونُدركها؟ السبيل الوحيدة لرفع منسوب الشعور بالحاجة إلى رحمة الله في أنفسنا هو أن يرحمنا الله تعالى نفسُه.

إحدى سبل نجاتنا هي أن يحبّنا الله تعالى بدايةً قبل أن نحبّه نحن. فقد جاء في المناجاة الشعبانية: «إِلَهِي لَمْ يَكُنْ لِي حَوْلٌ فَأَنْتَقِلَ بِهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ إِلاّ فِي وَقْتٍ أَيْقَظْتَنِي لِمَحَبَّتِكَ» (إقبال الأعمال/ ج2/ ص686)؛ أي لم أكن أقوى على ترك معاصيك إلا حين أيقظتني من غفلتي بواسطة محبّتك لي. بمعنى أنه إذا أحببتَني يا إلهي فسأصبح آدميّاً، إذن فلترحمني وترؤُف بي أنتَ أوّلاً كي أكون آدميّاً! ما أروعها من مناجاة!

إلهي، أريد أن أشعر بالحاجة إلى رحمتك، فما هي أفضل طريقة لذلك؟ أفضل طريقة لذلك هي أن تحبّني أنت الآن، وعندها لن أكون بحاجة إلى قطع مسافات بعيدة والسير والسلوك إليك.

ردُّ الله حين نسأله محبّتَه:

1ـ إنني سأُبلغُك محبّتي في حياتك وعبر الإلهامات في ذهنك، لكن كلّ ما أريده منك هو أن توقظ هذا التمنّي في نفسك!

2ـ لقد منحتُك محبّتي، فتعال واقرأ القرآن والمَس محبّتي وتذوّقها.

القرآن الكريم هو لسان محبة الله ورحمته.

ماذا نصنع كي ندرك ما يوجهه الله إلينا من خطابات الرحمة لدى قراءتنا القرآن الكريم؟

#علي_رضا_بناهيان

إحدى إجابات الله على هذا الرجاء هي: "لا بأس، إنني سأُبلغُك محبّتي في حياتك وعبر الإلهامات في ذهنك، لكن كل ما أريده منك هو أن تسألني ذلك وأن توقظ هذا التمنّي في نفسك كي أجيبك". إجابة الله الأخرى ستكون كما يلي: "لقد منحتُك محبّتي، وهي متوفّرة لك بالمجّان في القرآن الكريم ولسانه، فتعال واقرأ القرآن الكريم والمَس محبّتي وتذوّقها." اقرأ القرآن كي توقظ شعورَك بالحاجة إلى محبّته عزّ وجلّ.

القرآن الكريم هو لسانُ محبّة الله تعالى ورحمته، والذي يُكثر من قراءة القرآن ويقرأه بشكل صحيح فإنه سيوطّد هذه العلاقة. ولقد بيّن لنا أهل البيت(ع) الفوائد والبركات التي سنجنيها إذا ما سلكنا هذا الطريق بشكل صحيح، والأضرار التي ستحلّ بنا إذا لم نسلكها على نحو صائب.

عن الإمام الصادق(ع) أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَخْضَعْ لِلهِ وَلَمْ يَرِقَّ قَلْبُهُ وَلا يُنْشِئُ حَزَناً وَوَجَلاً فِي سِرِّهِ فَقَدِ اسْتَهَانَ بِعِظَمِ شَأْنِ اللهِ تَعَالَى وَخَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً» (مصباح الشريعة/ ص28). أي ينبغي لمن يقرأ القرآن أن يخضع لله عزّ وجلّ، ويرقّ قلبُه، ويعتريه حزنٌ في نفسه، ويُداخله خوفٌ في باطنه. فإن قرأ أحدٌ القرآن الكريم ولم يحصل لديه ذلك فإنّه يكون قد خسر خسراناً عظيماً وأهان الله تعالى.

وكما تعلمون فإنّ الصلاة شكلٌ من أشكال قراءة القرآن (إلى جانب بضع أعمال أخرى بالطبع). فقراءة القرآن الواجبة هي في الصلاة أما باقي ألوان قراءة القرآن فهي مستحبة. فإنْ صلّينا ولم يحصل لنا ما ذُكر آنفاً فستنطبق علينا الرواية المروية أعلاه وسيتهدّدنا خطرُ قسوةِ القلب أيضاً.

كيف للإنسان أن يرقّ قلبُه إذا قرأ القرآن الكريم؟ بل متى يرقّ قلب الإنسان أساساً؟ يرقّ قلبُ الإنسان إذا لمَس رحمةً ما. ومتى يعتري قلبَ الإنسان حزنٌ واكتئابٌ لذيذ؟ يعتريانه عندما يشاهد

شكلاً من أشكال الرحمة، ولاسيّما إذا شاهدها في وحدته، وكانت أزيدَ ممّا يستحقّ، وفوق ما يتمنّى. خصوصاً إذا شاهدها من شخصٍ ليس في عنُق هذا الشخص حقٌّ تجاهَه، بل من شخصٍ سبق له هو أن أهانَه وعصاه!

إذن فما هي شروط قراءة القرآن التي إذا توافرَت لمستُ لطفَ الله في آياته؟ ماذا أصنع لدى قراءتي القرآن الكريم كي تحصل لي الأمور المذكورة؟ يقول(ع) في تتمة الرواية: «فَقَارِئُ الْقُرْآنِ مُحْتَاجٌ إِلَى ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: قَلْبٍ خَاشِعٍ، وَبَدَنٍ فَارِغٍ، وَمَوْضِعٍ خَالٍ، فَإِذَا خَشَعَ لِلَّهِ قَلْبُهُ فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» فهو بحاجة لدى قراءته القرآن إلى أن يأتي اللهَ بقلبٍ مُترَع بالخشوع، وبدنٍ فارغ (فلا يأتيه مملوء البطن، ولا شديد الجوع، ولا نعساناً، ..الخ)، وأن يجد لنفسه مكاناً خالياً يتلو فيه القرآن. وعند ذلك فإنه إذا قرأ القرآن بخشوع فرّ الشيطان منه.

فإذا التزم المرء لدى قراءته القرآن بالأمور المُشار إليها فستأنس روحُه وسِرُّه بالله بواسطة هذه التلاوة، وسيستوعب خطابات الله النابعة عن رحمته، ويُدرك حلاوة تكلّم الله مع عباده الصالحين: «فَإِذَا اتَّخَذَ مَجْلِساً خَالِياً وَاعْتَزَلَ عَنِ الْخَلْقِ بَعْدَ أَنْ أَتَى بِالْخَصْلَتَيْنِ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَفَرَاغِ الْبَدَنِ اسْتَأْنَسَ رُوحُهُ وَسِرُّهُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَجَدَ حَلاوَةَ مُخَاطَبَاتِ اللهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ»، هذا في المرحلة الأولى. أما ما سيحصل في المرحلة الثانية فإنّه: «وَعَلِمَ لُطْفَهُ بِهِم».

إذن فإنّ المرء إذا قرأ القرآن الكريم لمسَ رحمة الله ولطفَه. كلّ ما هنالك إنّ عليه أن يهدأ قليلاً، ويهيّئ قلبَه شيئاً ما، ويُزيل من حوله الأسباب والعلل المعيقة؛ فإن خطرَت في ذهنه مشكلة نحّاها جانباً. فطروءُ هذه المشكلات والهوامش (سواء المسرّات أو المكاره) في ذهنِك هي لاختبارك فيما إذا كان ذهنُك سيشرُد أم لا؟ إنها جزء من لعب الدنيا. فالحكمة من المسرّات أو المكاره، على حدّ سواء، هي تشتيت فكر الإنسان. فحاذِر من تشتّت ذهنك، وعندها ستذوق لذة قراءة القرآن، وما أعظمَها من لذّة!

إدراك رحمة الله دعامة مهمة للعبودية لله عزّ وجلّ والارتباط به.

"بالتفكير" يمكننا معرفة كم أنّ الله رحيمٌ بنا. ويمكن "للقرآن الكريم" أن يشكل صُلبَ فكرنا.

من المواطن التي يتسنّى للمرء فيها لمسَ رحمة الله، لحظات "قراءةُ القرآن".

#علي_رضا_بناهيان

إدراك رحمة الله يشكل دعامة مهمة للعبودية لله عزّ وجلّ والارتباط به، أمّا إذا لم يبصر الإنسان إلا الظواهر، وفتّش عن أشكال الرحمة الواضحة والبيّنة جدّاً، ولم يحكُم إلا من خلال منافعه السريعة العابرة، فسيصعب عليه إدراك رحمة ربه.

رحمة الله تعالى معقّدة بعض الشيء وتحتاج إلى بعض التفكير. فعن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «إِنَّ أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِالْفِكْرَةِ حَتَّى وَرِثُوا مِنْهُ حُبَّ الله» (كفاية الأثر/ ص257)؛ أي إن أصحاب العقول هم أولئك الذين بدأوا بالتفكّر فوصلوا بهذا التفكّر إلى محبة الله.

كيف لنا أن نفهم محبة الله تعالى؟ إحدى السبل لذلك هو التفكّر. لكن في أي شيء علينا أن نفكّر؟ علينا أن نفكّر في "أنعُم الله" و"حكمة الخلقة". فمهما أطلنا التفكير في هذه الأمور فسوف لا نبلغ إلا رحمة الله تعالى.

فلتفكّر مثلاً في أنه: لماذا يطّلع رسول الله(ص) أو صاحب الزمان(عج) كل يوم (أو كل أسبوع) على صحائف أعمالنا؟ أيكونان ـ والعياذ بالله ـ عاطلَين أو يحبّان التجسّس على الآخرين؟! أهما مُجبَران من باب الواجب الإداري أن يطّلعا على صحائف أعمالنا يوميّاً ويوقّعانها؟! أيكونان غير راغبَين في ذلك لكنّ الله أمرَهم به وهما يمتثلان عن مضَض؟! نعوذ بالله! إذن فما سبب ذلك؟ ليس لذلك من سبب سوى محبّتهما لنا! فهما يخشيان علينا ويحبّان أن يطّلعا على صحائفنا؛ مثل الأب الذي يطّلع على ملفّ ولده التربوي والتعليمي. إذا فكَّرنا في هذه الأمور فسنحصل على نتائج جيدة جدّاً.

إذا استطاع الإنسان أن يستنتج بالتفكير أن "الله يحبّه" فطوبى له. وإذا حضر المجالس التي تسوق فِكرَه في هذا الاتجاه، فطوبى له أيضاً. على أنّ الاقتصار على الاستماع ليس دائما جيّداً، بل من الخير للإنسان، أحياناً، أن يكتب ليفكّر؛ أي أن يبدأ بنفسه بتدوين ما يتبادر إلى ذهنه كي يتوصّل شيئاً فشيئاً إلى تلك المسائل العميقة. وكأنّ الكتابة تحرّض الذهن على التفكير أكثر في الموضوع.

هناك مواطن يلمس فيها الإنسان رحمة ربّه، ومن هذه المواطن لحظات "قراءة القرآن"، طبعاً القراءة بتفكّر. ومن هذه المواطن ذكرُ أهل البيت(ع)، بتفكّر أيضاً. ومن هذه المواطن "رحمة الإنسان للآخرين"، وهنا أيضاً مع الالتفات والنيّة.

نستطيع بالتفكير أن ندرك كم أنّ الله تعالى رحيم بنا، ويمكن "للقرآن الكريم" أن يشكّل صُلبَ تفكيرنا. فإذا صار القرآن صُلب تفكيرنا فستحصل لنا أمور في غاية الروعة. بالطبع أدَبُك في التعامل مع القرآن الكريم وتأهّبُك للتعاطي مع الآيات القرآنية الحية له بالغ الأثر في تذوّقك رحمةَ الله في القرآن.

القرآن الكريم وأهل البيت(ع) مظاهر رحمة الله تعالى ورأفته.

#علي_رضا_بناهيان

من أين لنا أن نفهم أنّ الله رحيمٌ بنا؟ فلنقرأ القرآن بالتِفات خاصّ. القرآن هو إلى الآن كلامُ الله، والقرآن هو إلى الآن إشارات الله لنا. فإذا نشرتَ المصحف بين يديك فاستشعِر بأنّ الله حَقّاً يكلّمُك، وتلَقَّ إشاراتِه التي في القرآن.

كل معنىً يتبادر إلى ذهنك لدى قراءة أيّ آية قرآنية هو تحت تصرّف الله، وكل تفسير يطرُق فكرَك حين تلاوتِها هو باختياره هو. لا يهمّ عند أيّ صفحة فتحتَه. فحتّى لو لم تنشر القرآن أمامك للتفوُّل، بل فتحتَه وفق الترتيب الذي تقرأ عليه يوميّاً فإنّ الله يعرف كيف يُبلِغُك كلامَه بالإشارة عبر الصفحة المفتوحة أمامَك! فهو يكلّمك من خلال هذه الآيات ذاتها.

عن رسول الله(ص) في كلام له لسلمان الفارسي(رض): «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَة» (جامع الأخبار/ ص39). أوَيُمكن أن ينظر الله إلى إنسان بالرحمة فلا يلتفت الأخير إلى ذلك ولا يحسّه!

قد يكون حصل لك مرّة أثناء جلوسك في مكان ما، كالباص على سبيل المثال، أنِ التفَتَّ فجأةً إلى الخلف وإذا بأحد الجالسين في المقعد وراءك ينظر إليك، أو أن تنظر إلى شخصٍ ما وإذا به فجأةً يلتفت فينظر إليك. نعم، قد يسمّون هذا "تخاطُراً"، لكن لا شك أنه ثمّة أمواج ولها أثر. ولقد

أُشير إلى هذه الظاهرة في بعض أحاديثنا كقولهم(ع): «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَة» (مصباح الشريعة/ ص156).

أقترِح أن تطالعوا سيرة المعصومين الأربعة عشر(ع) بخصوص قراءة القرآن الكريم. هل رسول الله(ص) وأمير المؤمنين(ع) بحاجة أكثر منّا إلى نظرة الله الرحيمة؟! من الطبيعي أن نكون نحن أكثر حاجة منهما إلى نظرة الله الرحيمة من أجل نجاتنا، لكن فلتنظروا إلى إصرار أهل البيت(ع) على قراءة القرآن الكريم، ولتعاينوا سلوكهم أثناء قراءته! وكأنّ سَلوَتَهم هي في قراءة القرآن! انظروا كم كان أهل البيت(ع) يتغذّون من القرآن الكريم، والحال أنّنا أكثر منهم حاجةً لذلك!

يقول إمامنا الخميني الراحل(رض): "إنّ أمام السالك ـ إجمالاً ـ طريقين لبلوغ مقصده الأعلى ومقام قُرب الربوبيّة؛ أحدُهما ـ وله مقام الأوّليّة والأصالة ـ السيرُ إلى الله اعتماداً على مقام الرحمة المُطلقة، وخصوصاً «الرحمة الرحيميّة» التي تُوصِل كلّ مخلوق إلى كماله اللائق به. ومن شُعب ومظاهر «الرحمة الرحيميّة» بَعثُ الأنبياء والرسُل (صلوات الله عليهم)، هداةِ السُّبُل وعونِ العاجزين،.." (آداب الصلاة/ ص103). بمعنى أن المظهر الآخر لرحمة الله تعالى، غير القرآن الكريم، هم أهل البيت(ع).

ثم يقول(ره): "هذا القرآن، الكتاب الإلهي العظيم، المُنزَل من عالَم الغيب الإلهي والقُرب الرُّبوبي، والمَصُوغِ ـ من أجل انتفاعنا نحن المهجورين، وخلاصنا نحن الرازحين في سجن الطبيعة، والمغلولين بسلاسل الآمال والهوى المتشابكة ـ في هيئة الألفاظ والكلمات، إنما هو من أعظم مظاهر الرحمة الإلهية المطلقة، ونحن، العُمْي الصُمّ، لم ولن ننتفع منه على الإطلاق" (آداب الصلاة/ ص103).

من المواطن التي يتسنّى للمرء فيها لمسُ رحمة الله تعالى لحظات ذكر أهل البيت(ع) والتوسّل بهم.

#علي_رضا_بناهيان

إنّ مَن يؤمن برحمة الله ويذوق لذّتها ـ التي تتبعُها أرقى اللذّات ـ سيكون بوسعه أن يغضّ الطرف عن جميع فوائد الدنيا، ويتجاوز عن كل مَن أخطأ في حقّه، لأنه هو نفسه سيرتوي

بالكامل. شخصٌ كهذا ستعمُر قلبَه ـ شيئاً فشيئاً ـ الشفقةُ على الناس، وسيكتسب تجاههم حالةً أشبَه بحالة الأئمّة(ع). فالإمام المعصوم(ع)، ولأنه أصاب من رحمة الله تعالى الحظّ الوفير، فإنه يكون واسع الصدر سَمِحاً رحيماً بخلقِ الله عزّ وجلّ، حيث نقرأ في الزيارة الجامعة أنهم(ع): «مَعدِن الرَّحْمَة».

لكن كيف نؤمن برحمة الله تبارك وتعالى ونستفيد منها؟ علينا من أجل ذلك أن نستعين بالتفكير. فالذي ينظر إلى هذا العالم بمنظار الفكر سيرى جميعَ أنعُم الله مظاهرَ لرحمته فيؤول أمرُه، بالتدريج، إلى "الشكر".

وهناك، إلى جانب التفكير، طريق أخرى وهي أن نتوجّه إلى القرآن الكريم ونتلوه بتفكّر، إذ أنّ آيات الذكر الحكيم مظاهر لرحمة الله. والطريق الأخرى إلى إدراك رحمة الله والتصديق بها وتذوّقها هم "أئمة الهدى(ع)"، فالقرآن الكريم يقول في حق رسول الله(ص) بكل صراحة: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» (الأنبياء/107).

ولقد أوضحَت أحاديثُ كثيرة أنّ أهل البيت(ع) هم منبع الرحمة: «وَبِنَا يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِنَا يَنْشُرُ الرَّحْمَةَ وَيُخْرِجُ بَرَكَاتِ الأَرْضِ» (أمالي الصدوق/ ص186). وعن أمير المؤمنين(ع) قوله: «إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلائِكَةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ» (الكافي/ ج1/ ص221).

أهل البيت(ع) مَظهَر رحمة الله عزّ وجلّ، وإنّ من المواطن التي يتسنّى للمرء فيها أن يلمس رحمة الله تعالى هي تلك التي يذكر فيها أهل البيت(ع)، مثل مجالس ذكرهم(ع). فمن أجل لمس رحمة الله تعالى يحسُن بالإنسان أن يتوسّل بأهل البيت(ع)، ولكي يلمس رحمة أهل البيت(ع) فإنّ عليه زيارة مشاهدهم.

بالطبع إنّ أبا عبد الله الحسين(ع) هو المظهر الأكبر لرحمة الله من بين أهل البيت(ع)؛ بمعنى أن بوسع أيّ امرئ أن ينهل من رحمته(ع) دونما سيرٍ وسلوك. يقول العلامة المرحوم السيد القاضي الطباطبائي(ره): "شاهدتُ في عالم المُكاشفة أنّ رحمة الله الواسعة هي الحسين(ع)"، وهذه الرحمة الواسعة تخص الجميع، فهي ليست كرحمة الله الرحيمية الخاصة بالصالحين فحسب، بل بوسع الجميع أن ينهلوا من هذه الرحمة الواسعة.

إدراك رحمة أهل البيت(ع) أسهل من إدراك رحمة الله لأنهم بشرٌ مثلنا.

إذا أدركتَ رحمة أهل البيت(ع) فقل: " إذا كان أهل البيت(ع) رُحماء إلى هذه الدرجة فما بالُك برحمة الله؟!"

#علي_رضا_بناهيان

جاء في الخبر أن الله سبحانه وتعالى قد خلق مائة رحمة فجعل تسعاً وتسعين منها لأهل البيت(ع) وأعطى واحدة لسائر الخلق فمنها رحمةُ الأم بصغيرها، ورحمة الزوجين بأحدهما الآخر، ..الخ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَتِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً عِنْدَهُ مَذْخُورَةٌ لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَعِتْرَتِهِمَا، وَرَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ مَبْسُوطَةٌ عَلَى سَائِرِ الْمَوْجُودِين» (تأويل الآيات الظاهرة/ ص81). ومن هنا فإنّ محبّةَ أشدِّ أُمٍّ حنُوّاً على صغيرها لا تصل أبداً إلى مقدار محبّة الإمام(ع) لأمّته.

إننا إذا أدركنا رحمة أهل البيت(ع) بنا وشدة محبّتهم لنا فسنصبح ـ بالدرجة الاولى ـ رُحماء فيما بيننا وسنتجاوز عن أخطاء بعضنا البعض بسهولة. وسنلتفت ـ بالدرجة الثانية ـ إلى رحمة الله تعالى فتتحسّن علاقتنا بربّنا (ذلك أن إدراك رحمة أهل البيت(ع) أسهل من إدراك رحمة الله عزّ وجلّ، لأنّهم بشر مثلنا ونحن نلمس رحمتهم أكثر).

محبة أهل البيت(ع) طريق إلى إدراك محبة الله تعالى. وإنه ليَحسُن بمن أدرك رحمة أهل البيت(ع) ورأفتهم أن يكرّر القول: "إذا كان أهل البيت(ع) على هذه الدرجة من الرحمة فما بالك برحمة الله جلّ وعلا!"

لعل بإمكاننا القول: إن أهل البيت(ع) قد اختاروا الشهادة في سبيل محبّتنا! بالطبع هو ليس كلاماً دقيقاً، لكنه صحيح. فإنهم(ع) في الواقع إنّما قُتلوا ليبلُغَنا الدين، أي من أجل هدايتنا. فحينما تكون هداية الخَلق هي الهدف، فإن شخصية عظيمة كشخصية الإمام الحسين(ع) أيضاً ستُستشهد في هذا السبيل.

إنك إذا طرقتَ باب أهل البيت(ع) التماساً لإدارك رحمة الله واستدراراً لهذه الرحمة فمن المحتمل أن تصيب من رحمة الله ضعفين، لأنك إن لم تكترث لرحمة الله ورأفته فلن تضرّ اللهَ في شيء، وإذا أطعتَه واحترمتَه فلن تنفعَه في شيء، أمّا أهل البيت(ع) فإنّهم بشر، ولهم عواطف، وتنكسر قلوبُهم، ويفرحون، ..الخ، وإنّ الله ليحبّهم، ولذا فهو يقول: "إذا أحببتموهم، فسأستجيب لكم بشكل خاصّ، وإذا أهنتموهم، فسيحلّ بكم غضبي بشكل خاصّ أيضاً".

إن تذوّق رحمة الله أهمّ من المنافع التي تكسبها بالدعاء.

إذا كنت تصبو أثناء الدعاء إلى تذوّق رحمة الله فسيكون "قضاء الحاجة" قضيّة ثانويّة بالنسبة لك.

لا تحصل حالة "كمال الانقطاع" للإنسان إلا إذا استشعر منتهى اللذة من رحمة الله تعالى.

#علي_رضا_بناهيان

تتجلى رحمة الله تعالى في أوقات أكثر من أوقات أخرى. فإن توخّى الإنسان بعض الدقة في مثل هذه الأوقات ازداد إدراكه لرحمة الله. نحن غالباً ما ندير ظهورنا بعد الدعاء والعبادة بمجرد أن نحصل على مُرادنا أو ننال مغفرة ربنا ونكتفي بهذا المقدار والحال أنّ علينا أن نتحرى الدقة لنرى أنه ما أَلَذَّ رحمة الله الكامنة وراء هذه الحاجة!

أهم منفعة نكسبها من الله هي رحمته تعالى ذاتُها. إن الله ليعتب على أولئك الذين يدعونه مخلصين إذا ما داهمتهم العواصف وسط البحر ثم يشركون إذا ما وصلوا إلى بر الأمان: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُون» (العنكبوت/65).

علة استغفار أهل البيت(ع) ودعائهم، وهم الذين نالوا من الله عزّ وجلّ كل شيء، هو الاعتذار من الله عن تقصيرهم في مقابل ما أغدق عليهم من الرحمة. يقول الإمام زين العابدين(ع) مثلاً في دعاء أبي حمزة الثمالي: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فِيُجِيبُنِي»، وهذا يعني أنه يشعر بالخجل

تجاه رحمة ربه ورأفته به، في الوقت الذي لا ينتابه أي توتّر أو خشية من أنه تعالى قد لا يقضي حاجته.

معظم دعواتنا ـ مع الأسف ـ مشوبة بسوء الظن بالله مخافةَ أن لا يقضي حاجاتنا في حين أن الأحاديث الشريفة تحثّ الداعي على أن يتيقّن، بمجرّد شروعه بالدعاء، من أن حاجته ستُقضى: «فَإِذَا دَعَوْتَ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ ثُمَّ اسْتَيْقِنْ بِالإِجَابَة»، و: «إِذَا دَعَوْتَ، فَظُنَّ أَنَّ حَاجَتَكَ بِالْبَاب» (الكافي/ ج2/ ص473)، وكأنّ المراد من الدعاء هو أنك تقوم ـ بعد الإجابة ـ بشكر الله تعالى وتذوّقِ رحمتِه، فقضاء الحاجة هو أساساً قضية ثانوية بالنسبة لك. وإذا دقّقتَ لشاهدتَ رحمة الله كامنةً وراء حاجاتك التي تطلبها منه ولذُقتَ لذّتَها.

جاء في المناجاة الشعبانية: «إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الانْقِطَاعِ إِلَيْك»، وكمال الانقطاع يعني أنْ يمَلَّ الإنسان باقي الخَلْق، وهذا لا يحصل إلا إذا استشعر منتهى اللذة من رحمة الله وأحسّ دفءَ محبّته. بل إنّ مجرّد كون "الله رحيماً" يكفي لعزوف المرء عن طلب أي شيء آخر! فما إن تعرف أنّ الله رحيم فإنك سوف لا تفارقه، وسوف تتّجه نحو "كمال الانقطاع".

بالطبع قد يحصل "الانقطاع" أحياناً إذا وجد الإنسان نفسه وسط الشدائد والبلايا، كما لو كان على متن سفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، لكنه يشرك من جديد ما إن تصل السفينة إلى ساحل الأمان. أمّا "كمال الانقطاع" فإنه يحصل من خلال الحبّ، فقد جاء في فقرة أخرى من المناجاة الشعبانية ما نصّه: «إِلَهِي لَمْ يَكُنْ لِي حَوْلٌ فَأَنْتَقِلَ بِهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ إلاّ فِي وَقْتٍ أَيْقَظْتَنِي لِمَحَبَّتِك». فعندما يحوط الله عزّ وجلّ عبدَه بمحبّته فسوف لا يطلب العبد شيئاً آخر. بل إنّ المقرَّر أساساً هو أن نلمس رحمة الله تعالى، فتنبعث الحرارة في كياننا، وتستعر فينا نار الشوق، فننطلق في إثرها!

إذا تذوّقنا رحمةَ ربنا شعَرنا باللذة. وإن المرء ليحب أن يستشعر اللذة، وإنه ليودّ إذا استشعرها أن يفرح، وما عبودية أولياء الله تعالى ـ في الواقع ـ إلاّ هذه الفرحة في مقابل رحمة الله. فقد قيل لرسول الله(ص) يوماً وقد شاهدوه تورّمَت قدماه من كثرة الصلاة: «يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تُتْعِبُ نَفْسَكَ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ:.. أَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً» (الكافي/ ج2/ ص95).

يمكن استدرار رحمة الله الواسعة من خلال بعض الممارسات مثل مساعدة الفقراء.

الشخص الذي يرحم الناس سيدرك أن ربّه رحيم لأنه هو نفسه يصبح من جنس الرحمة.

#علي_رضا_بناهيان

إذا كان العبد المؤمن ذا معرفة فسيُنمّيه الله بالمحبة. فقد ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي: «إِلَهِي، لا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِك»، بل أصلحني بمحبتك. على أن الله هو دوماً هكذا، كل ما هنالك أن علينا أن نلتفت إلى رحمته وندرك محبته.

ما هي المواطن التي نلمس فيها رحمة الله أكثر؟ لقد ذكرنا سلفاً موطنَين لذلك: تلاوة القرآن الكريم وأعتاب أهل البيت(ع). والموطن الثالث هو الرحمة بالآخرين، إذ أنه برحمة الناس تُستدَرّ رحمة الله الواسعة. فعن رسول الله(ص) أنه قال: «أَبْوَابُ الْجَنَّةِ مُفَتَّحَةٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَالرَّحْمَةُ نَازِلَةٌ عَلَى الرُّحَمَاءِ، وَاللهُ رَاضٍ عَنِ الأَسْخِيَاءِ» (مشكاة الأنوار/ ص231). فارحم الفقراء والمساكين وسترى أي شعور رائع سينتابُك! فإنك الآن جاهز لإدراك الله الرحيم.

عن رسول الله(ص): «مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِكَلِمَةٍ يُلْطِفُهُ بِهَا وَفَرَّجَ عَنْهُ كُرْبَتَهُ لَمْ يَزَلْ فِي ظِلِّ اللهِ الْمَمْدُودِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ» (الكافي/ ج2/ ص206)، أي إن رحمة الله ستبقى تُظلُّه ما دام في هذه الحال. فعلينا أن نلمس هذه الرحمة بما نمتلكه من تجارب وأن نكون من هذا النوع من البشر.

كان الإمام السجاد(ع) إذا حلّت آخر ليلة من شهر رمضان المبارك يجمع عبيدَه وإماءَه فيذكّرُهم بجميع ذنوبهم ويقول لهم: «قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُم... فَيَقُولُ لَهُم: قُولُوا اللَّهُمَّ اعْفُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَمَا عَفَا عَنَّا» (إقبال الأعمال/ ج1/ ص260).

إنّ الذي يعفو عن الناس يدرك كم أنّ "الربَّ عَفُوّ" أيضاً والذي يرحم الناس يدرك كم أن "الربّ رحيم"، وكأنه يشابه الله قليلاً ويصبح من جنس الرحمة بعض الشيء. فإن اردتَ استنزال رحمة الله عليك فارحم الناس «وَالرَّحْمَةُ نَازِلَةٌ عَلَى الرُّحَمَاءِ»، وكن واثقاً من أنك ستحظى بمنافعها ولا تخسر.

علينا أن نُشِيع ثقافة الرحمة في مجتمعنا حتى إذا رآنا الناس بصفتنا من أهل الدين وروّاد الهيئات الحسينية قالوا: "هؤلاء أهلُ رحمةٍ وعَفوٍ وتجاوز". فعندما ننقل هذا الإحساس إلى الآخرين فإننا سنُشمَل برحمة خاصّة من الله عزّ وجلّ.

إذا أخذ الناس عني تصوّراً هو أنّ "فلاناً رحيم" فإنني سأقطع بتصوّري من أنّ الله تعالى رحيم. وهكذا أيضاً كان أهل البيت(ع). على أن سلوكهم الرحيم هذا كان يدعو البعض إلى استغلاله؛ فلو أن الناس خافوا سخطَ عَليّ(ع) مثقال ذرّة وما كانوا مطّلعين على مدى رأفته بالمسلمين لَما اجترأوا حتى على المرور من أمام زقاقه، لكن...

في الخبر: «مَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ أَنْ يُسْأَل».

العلّة وراء أغلب ما يمسّنا من ضرّاء هي لكي نجرّب حالة استعطاء الله من أجل لَمسِ رحمته.

عن رسول الله(ص) أنه قال: «إِذَا أَذِنَ اللهُ لِعَبْدٍ فِي الدُّعَاءِ فَتَحَ لَهُ بَابَ الرَّحْمَة».

#علي_رضا_بناهيان

طالعنا في المحاضرات السابقة بعض المواقف الموجِبة لتَلقّي رحمة الله تعالى وكان منها "قراءة القرآن"، و"ذكر أهل البيت(ع)". ومن المواقف الأخرى التي توجِب تَلقّي رحمة الله والتنعّم بدفء رأفته هو "الدعاء"، ففي الخبر: «بِذِكْرِ اللهِ تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَة» (غرر الحكم/4209)، فما إن يصبح المرء في أجواء الدعاء حتى يحسّ رحمة ربه.

متى وبأيّ ذكر يزداد نزول الرحمة؟ إنه يزداد بتلاوة القرآن، وبالدعاء، وبذكر أهل البيت(ع). بل إنهم(ع) قالوا: «الدُّعَاءُ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» (فقه الرضا/ ص345). لكن لماذا الدعاء أفضل؟ لعلّ من أسباب ذلك هو أننا نلمس رحمة الله أثناء الدعاء أفضل مما نلمسها حين قراءة القرآن. فالدعاء أسهل في فتح الطريق أمام الإنسان.

عن رسول الله(ص) أنه قال: «عَمَلُ البِرِّ كُلِّهُ نِصْفُ العِبَادَةِ وَالدُّعَاءُ نِصْف» (كنز العمال/3137)، إلى درجة أن صلاتنا تُرَدّ إذا لم ندعو بعدها. فإذا فرغتَ من الصلاة فلا تنسَ أن تقول: "إلهي، والآن أعطني كذا وكذا.."، ففي الخبر: «إِذَا فَرَغَ الْعَبْدُ مِنَ الصَّلاةِ وَلَمْ يَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى حَاجَةً يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي فَقَدْ أَدَّى فَرِيضَتِي وَلَمْ يَسْأَلْ حَاجَتَهُ مِنِّي، كَأَنَّهُ قَدِ اسْتَغْنَى عَنِّي..» (مستدرك الوسائل/ ج5/ ص29).

عن الإمام محمد الباقر(ع) أنه قال: «مَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ أَنْ يُسْأَل» (المحاسن/ ج1/ ص292)، بل إنما علاقتنا بالله هي علاقة العبد بمولاه؛ فما تحبه أنت هو مَدُّ يد المسألة إلى ربك، وما يحبّه الله هو مَدُّك ليد المسألة إليه، وإذن فقد حصل التناسب. فالعلة وراء ما يمس الإنسان من ألوان الضرّاء هو لكي يجرّب حالة استعطاء ربه من أجل لمس رحمته.

وعن النبي(ص) أنه قال: «إِذَا أَذِنَ اللهُ لِعَبْدٍ فِي الدُّعَاءِ فَتَحَ لَهُ بَابَ الرَّحْمَةِ، إِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَد» (عدة الداعي/ ص41). (ولنلتفت لئلا نلجأ إلى الدعاء طلباً للمنفعة، بل لنحاول أن نعيش رحمة الله بالدعاء).

مضافاً إلى الدعاء فإن "جماعة المؤمنين" هي الأخرى مجلبةٌ للرحمة: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَة».

في الخبر: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ تُنَزِّلُ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ.. وَتَغشَاهُمُ الرَّحْمَةُ».

#علي_رضا_بناهيان

يقول إمامنا الصادق(ع): «مَا أَبْرَزَ عَبْدٌ يَدَهُ إِلَى اللهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ إِلاّ اسْتَحْيَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْراً» (عدة الداعي/ ص210). لذا فلتمسح وجهك ورأسك بيدك إذا دعوتَ الله تعالى: «فَإِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلا يَرُدَّ يَدَهُ حَتَّى يَمْسَحَ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِه» (نفس المصدر)، لأن هذه اليد تختلف عن ذي قبل، فهي الآن تحوي شيئاً.

لا ينبغي أن ننتظر من علماء الدين فقط أن يخبرونا بأن مجالس العزاء والدعاء أمور حسنة، ذلك أنها مسائل من المتيسر إدراكها بالتجربة أيضاً. حتى علماء الطبيعيات يجب أن يقولوا بذلك. ولقد فعل هذا بعض علماء النفس في الغرب، إذ قد جمعوا عدداً من أهل الدعاء من بضع

كنائس وأخذوهم إلى قسم في إحدى المستشفيات لكي يدعوا لمرضى ذلك القسم (دون أن يعلم المرضى بذلك) فكان عدد المرضى المتماثلين إلى الشفاء في هذا القسم أكثر، وعدد الأقراص المسكنة المستعملة فيه أقل، وانخفضت فيه نسبة عمل الممرّضات. إذن يمكن بالتجربة أيضاً إثبات أن الدعاء ذو أثر على المريض.

مضافاً إلى الدعاء فإن "جماعة المؤمنين" هي الأخرى مجلبة لرحمة الله تعالى، فعن النبي(ص) أنه قال: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ» (نزهة الناظر/ ص27). فما بالك إذا كان الدعاء جماعيّاً؟ ما أحسن ذلك.

لو لم تكن الغاية من اجتماعكم في هذا المكان ذكرَ الله ألا يكون الجلوس على الأرض وسط جمع من الناس لساعة من الزمن متعب لكم؟ جاء في الخبر: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ تُنَزَّلُ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ وَتَحُفُّ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ وَتَغْشَاهُمُ الرَّحْمَةُ» (كنزالعمال/ ج1/ ص424/ ح1821).

يوزَّع في مجلس الذكر من الأشياء (البركات والفوائد) ما لا يُوزَّع في أماكن أخرى. على أن الذكر والصلاة وقراءة القرآن ضرورية حتى في المنزل، وليس المراد أنها لا تمارس إلا في مجالس الذكر. وإذا قرأ المرءُ القرآن في بيته فإنه يحسُن به أن يقرأه بصوت عالٍ لكي يسمعه أولاده، فإنّ لهذه الأصوات التي تملأ فضاء الدار آثاراً.

وعن الإمام الصادق(ع) في وصف المجلس الذي لا يشقى فيه جليس قولُه: «إِنَّ لِلهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ.. فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ(ع) قَالُوا قِفُوا فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَاجَتَكُمْ، فَيَجْلِسُونَ فَيَتَفَقَّهُونَ مَعَهُمْ، فَإِذَا قَامُوا عَادُوا مَرْضَاهُمْ، وَشَهِدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَتَعَاهَدُوا غَائِبَهُمْ، فَذَلِكَ الْمَجْلِسُ الَّذِي لَا يَشْقَى بِهِ جَلِيسٌ» (الكافي/ ج2/ ص186).

قد يبعث الالتفات إلى رحمة الله تعالى فينا الغرورَ والتجرّؤ على محارم الله.

لكي لا نستغل رحمة الله تعالى سلبياً يتعين علينا الالتفات إلى رحمة الله "بعمق" كي نستحي من شدة محبته عزّ وجلّ لنا.

لماذا يتأثّر أهل البيت(ع) إلى هذا الحد بذكر جهنّم؟ لأنهم غارقون في رحمة الله تعالى ولا يطيقون سخطه وغضبه مثقال ذرة.

#علي_رضا_بناهيان

التفاتنا إلى رحمة الله تعالى قد يكون له بعض الآفات لنا في بداية الأمر؛ فإذا قيل للشخص الذي لم يتعوّد الالتفات إلى رحمة الله: "إن الله في منتهى الرحمة" فقد يصاب هذا الشخص بالغرور ويتجرّأ على ارتكاب محارم الله، وذلك لقول الله عزّ وجلّ: «يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيم» (الانفطار/6).

والعلاج هو "أن نلتفت إلى رحمة الله بعمق إلى درجة الاستحياء منه تعالى". فإن التفَتْنا إلى رحمة الله قليلاً وحسب فقد نصاب بآفة الغرور، أما إذا كان التفاتُنا إليها بعمق فإننا سنستحي من شدّة محبّة الله لنا لأننا سنذوق لذّة رحمته عزّ وجلّ وهو ما سيحول بيننا وبين استغلال هذه الرحمة سلبيّاً.

هل من الضروري ـ إلى جانب الالتفات إلى رحمة الله جلّ وعلا ـ أن ننظر إلى غضبه تعالى وقَهرِه أيضاً كي تحصل حالة من التوازن تَحُول بيننا وبين استغلالنا لرحمة الله بالسوء وابتلائنا بالغرور؟ كلاّ، لأنك إذا ضاعفتَ من التفاتك إلى رحمة الله فإنك ستستحي من شدة محبته تعالى لك وسوف لا تطاوعك نفسك ـ بسبب هذا الحياء ـ على ارتكاب الخطيئة. والله يحب هذا الحياء والخجل فيك أيّما محبّة، وهو يمنح الإنسان نورانية عظيمة.

من هو الذي يستحي من الله عزّ وجلّ؟ إنه الذي أسبغَ الله عليه واسعَ رحمته. فلنُدخل أنفسنا في أجواء الرحمة الإلهية هذه ولنلقّن أنفسنا "بأنّ الله رحيم"، ولنقُل "بسم الله الرحمن الرحيم" قبل كل عمل نهُمّ به، ولنلتفت بعمق إلى معنى ذلك. فإذا لمسنا رحمة الله بعمق فلن نصاب بآفة الغرور.

إذن متى ننتبه لغضب الله تعالى؟ إذا جعلْنا انتباهَنا لغضب الله عزّ وجلّ بعد التفاتنا إلى رحمته فسيكون أثره أعظم ألف مرّة. فلماذا لا يؤثّر فينا ذكرُ جهنّم والآيات القرآنية التي تتحدث عن النار إلا قليلاً في حين يتأثّر أهلُ البيت(ع) كل هذا التأثّر إذا ذكروا النار؟ السبب هو أن أهل

البيت(ع) غارقون في رحمة ربّهم جلّ شأنه فلا يطيقون عُبوسَه في وجوههم وقلّة اهتمامه بهم ولو مثقال ذرّة، فما بالك بغضبه وناره!

▫️إذا التفتنا إلى رحمة الله تعالى بعمق فسنبلغ حدّاً نخاف الله فيه أيّما خوف ونحسب له أيّما حساب، وهذا الخوف هو استمرار لذاك الالتفات لرحمة الله. صحيح أن الخوف والشوق معاً أشبه بالجناحين، لكنه بمقدور هذا الالتفات إلى رحمة الله عزّ وجلّ أن يولّد هذا الخوف. إذن فلتلتفت إلى رحمة الله، وستصل عبر هذا الطريق نفسه أيضاً إلى الخشية منه تعالى والخوف من ناره. كما أنك ستبلغ الخوف من غضب الله أيضاً، وهو فوق "الخوف من النار".

▫️أتدري ما الذي سيحدث إذا حاولنا الالتفات إلى عذاب الله ونار جهنم والموت فقط، بعيداً عن الالتفات إلى رحمته عزّ وجلّ؟ بما أن أنفسنا تفرّ من الآلام والشدائد فإنها تحاول نسيان الموت ونار جهنم وعدم التفكير بهما أبداً؛ لأن الإنسان ـ من وجهة نظر علم النفس ـ يحاول نسيان الشيء الشديد المرارة بالنسبة إليه.

▫️إذا وصلنا إلى "الخوف من النار" عبر قناة رحمة الله تعالى فسيكون خوفاً حلواً بالنسبة لنا وليس مرّاً!

#علي_رضا_بناهيان

▫️ماذا نفعل كي يجد الخوفُ من نار جهنم سبيلَه إلى قلوبنا؟ علينا أن نبدأ برحمة الله تعالى، وإلا فإن حاولنا الالتفات إلى النار فقط فسوف لا نؤمن بها ببساطة، وحتى لو خامرَنا خوفٌ ضئيل منها فسنحاول المرور على آيات العذاب في القرآن بسرعة! لكن تعالوا وانظروا كم تحدث أهل البيت(ع) في أدعيتهم (كدعاء كميل مثلاً) بتفصيل عن نار جهنم؟! فلماذا إذن لا تنهار أعصابهم لذلك؟ لأنك إذا وصلتَ إلى الخوف من النار من خلال قناة رحمة الله تعالى فسوف لا يؤذيك ذكرُ عذاب جهنم، وسوف لا تحاول نسيانه، بل ستحب الحديث عنه مع الله باستمرار!

▫️العجيب أن ذروة دعاء عرفة تتحدث عن نار جهنم! إذ يقول أبو عبد الله الحسين(ع) فيه: «أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتِيَ الَّتِي إِنْ أَعْطَيْتَنِيهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعْتَنِي، وَإِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أَعْطَيْتَنِي: أَسْأَلُكَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّار» (إقبال الأعمال/ ج1/ ص347).

الخوف من نار جهنم هو ثمرة لذيذة لإدراك رحمة الله تعالى. فالشخص القاسي القلب لا يدرك حتى نار جهنم، والذي اسودَّ فؤادُه فسيتضاءل شعورُه حتى بالحاجة إلى مغفرة الله، أما الشخص الرقيق القلب فتراه يفتّش عن شخص يُخطئ في حقِّه ليهرَع هو إلى العفو عنه كي تناله هو مغفرةٌ من ربه؛ لأن الله يقول في كتابه العزيز: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم» (النور/22).

أحد أوجه لين القلب ورقّته الخوفُ من عذاب الله عزّ وجلّ. على أنّ الخوف من عذاب الله هو أول الطريق، فإذا رقّ قلبُك أكثر، انتابك الخوف من "حساب الله" أيضاً، وستخاطبه: "ألهي، لا تحاسبني ولا تفتح صحيفة أعمالي**!**" وهذا هو التمنّي الجميل الذي حوَّلَ الكثير من الشباب في الجبهات إلى عُشّاق شهادة؛ فما أكثر الشهداء الذين استشهدوا بسبب هذه الأمنية لعلمهم بأن الشهيد لا يحاسَب؛ فعن أبي عبد الله(ع) قال: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ(ص): مَا بَالُ الشَّهِيدِ لا يُفْتَنُ فِي قَبْرِهِ؟ فَقَالَ(ص): كَفَى بِالْبَارِقَةِ (وميض السيوف) فَوْقَ رَأْسِهِ فِتْنَةً» (الكافي/ ج5/ ص54).

الالتفات إلى رحمة الله يزيد الخوف من "حساب القيامة" بل ومن "ليلة القبر". وهذه ليست بمفاهيم أليمة، فهي تعتمد على أنك من أيّ زاوية تنظر إليها؟

لماذا غالباً ما ننسى الموت و"ليلة القبر" ولا نفكر فيهما والحال أننا نعلم أن الموت سيأتينا نحن أيضاً لا محالة؟ السبب هو أنه ليس لنا شخص رحيم نتحدث معه حول هذه المشكلة**!** ولو كان لدينا مثل هذا الشخص لهرعنا إليه نحدّثه عن خوفنا من الليلة الأولى في القبر.

إذا أدركت رحمة الله عزّ وجلّ فسيتسلّل الخوفُ من عذاب الله وليلة القبر أيضاً إلى فؤادك. والشخص الذي لا يرى وراءه ذلك الرب الرحيم أو لا يصدق برحمته لا يفكر كثيراً بهذه القضايا تجنُّباً للخوف، ويحاول الهرب منها؛ لأنها ـ بالنسبة له ـ مشكلات عويصة. أما إذا اعتقد بوجود ربّ رحيم يحميه فسيتحدّث معه عن خوفه هذا.

النقطة الأخيرة هي أنك حين تتحدث مع الله عزّ وجلّ عن خوفك فإنك ستشاهد الأضعاف من ألوان رحمته، وإنّ من المواقف التي تُلمس فيها رحمة الله هي لحظات الخوف هذه. فإن لجأتَ إلى الله في إثر هذا الخوف فإنه تعالى سيحتضنك، وستذوق حينذاك دفء رحمته. ولهذا تجد الإنسان بعد أن يناجي ربه نتيجة خوفه يغدو مُفعَماً بالمحبة والرأفة.